الفنون السبعة الحرة في أوروبا العصور الوسطى خلال الفترة:

ق5- ق13 م

أ. زاهية فرج محمد عبد الهادي

قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بنغازي.

Email: Zahya.abdelhadi@uob.ly

https://orcid.org/0009-0007-9812-259X

تاريخ الارسال 2026/7/25 تاريخ القبول 2026/8/1

الملخص:

يتناول هذا الموضوع الفنون السبعة الحرة، باعتبارها العلوم الدنيوية الوحيدة التي تم تدريسها في أوروبا العصور الوسطى، والتي ورثتها من بقايا التراث الكلاسيكي القديم، ذلك أن التعليم خلال فترة العصور الوسطى أُعتبِر في المدارس الدَّيْـرِيّة والأسقُفية والكاتدرائية والجامعات مهمةً دينيةً تقع على عاتق الكنيسة لإعداد الفرد روحيًّا للنهوض بالواجبات الدينية لنفسه وللعالم المسيحيّ؛ إذ إنّ التدريس كان منصبًّا بالدرجة الأولى على الكتب المقدسة، وعلى كتابات آباء الكنيسة الأوائل، أي أنها كانت مجرد أداة لتفهُّم الدين فقط، وإن كانت قد ساعدت فيما بعد وبطريقة غير مباشرة على تطور الفكر البشريّ وتحرره من القيود التي عاش أسيرَها عدة قرون، عندما حانت الفرصة وتهيأت الظروف لذلك، وتهدف دراسة هذا الموضوع إلى تسليط الضوء على العديد من النقاط المهمة حول الفنون السبعة الحرة، منها: ما الفنون السبعة الحرة؟ لماذا سُمِّيت بالحرة؟ لماذا حُدِّدت بسبعة؟ من حدَّدَها بسبعة؟ متى وُجدت؟ هل وُجدت في فترات وعصور معينة؟ أم كانت موجودةً طوالَ العصور الوسطى؟ هل ثَـمَّةَ كتبٌ ومؤلفات تدرّس منهجَها؟ هل حظِيَتْ باهتمام علماءَ وأباطِرةٍ أوروبيين معيّنين في فترة العصور الوسطى؟ هل انتهت الفنون الحرة بنهاية العصور الوسطى؟ أو بمعنى آخر هل لها نهاية؟ أم أنها مازالت تدرَّس ضمن مناهج المدارس والجامعات الأوروبية الحديثة؟

الكلمات المفتاحية: الفنون السبعة الحرة -العلوم الحرّة- التعليم في أوروبا العصور الوسطى-النهضة الكارولنجية-أوروبا العصور الوسطى.

The Seven Liberal Arts In The Middle In Europe Ages: 5th_13th century AD

Abstract:

This topic deals with the seven liberal arts as the only secular sciences taught in medieval Europe which it inherited from the remnants of the ancient classical heritage. Education during the medieval period was considered in monastics episcopal cathedral and the universities to be a religious task incumbent upon the Church to prepare the individual spiritually to carry out religious duties to himself and to the Christian world. Teaching was primarily focused on the sacred texts of the Old and New Testaments (the Torah and the Gospels) and the writings of the early Church Fathers. It was essentially a tool for understanding religion though it later indirectly contributed to the development of human thought liberating it from the constraints that had held it captive for centuries when the opportunity arose and the conditions were right. In other words

This study aims to shed light on several important points about the Seven Liberal Arts including: What are the Seven Liberal Arts? Why are they called " liberal" ? Why were they limited to seven? Who determined that there were seven? When did they originate? Did they exist in specific periods or eras or were they present throughout the Middle Ages? Are there books and texts that teach their methodology? Did it receive the attention of certain European scholars and emperors during the Middle Ages? Did the liberal arts end with the end of the Middle Ages? Or in other word's do they have an end? Or are they still studied within the curricula of modern European schools and universities?

Keywords: The Seven Liberal Arts-The Liberal Sciences-Education in Medieval Europe-The Carolingian Renaissance-Europe In Medieval Ages

المقدمة

يعد موضوع الفنون السبعة الحرة من الموضوعات ذات الأهمية في تاريخ وحضارة أوروبا في العصور الوسطى؛ فقد كانت هذه العلوم هي العلوم الدنيوية الوحيدة التي كانت تدرس في مدارس وجامعات أوروبا في العصور الوسطى حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وهذا راجعٌ إلى طبيعة التعليم الدينيّ الذي استهدف إعداد رجال الكنيسة لفهم أحكام الدين والكتاب المقدس وكتابات آباء الكنيسة، فلم يكن الهدف الرئيسي من دراستها إعداد أفراد الشعب لمواجهة مطالب الحياة الدنيا أو العمل في الوظائف الحكومية؛ بل كانت تستهدف إعداد الطلاب ليصبحوا قساوسةً فيما بعد ويخدمون في السلك الكنسي.

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع ليكون موضوعاً للدراسة والبحث، لعدم وجود دراسة سابقة مستقلة خاصة به على حد علمي، وقد اتبعتُ المنهج التاريخيّ السرديّ التحليلي للوقائع والأحداث، وتهدف دراسة الموضوع إلى تسليط الضوء على الفنون الحرة؛ باعتبارها أساسَ التعليم في أوروبا العصور الوسطى حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وهناك العديد من التساؤلات المهمة حول هذا الموضوع، منها: ما الفنون السبعة الحرة؟ من حدَّدها بسبعة؟ من أوصلها إلى العصور الوسطى؟ ما التسميات التي أُطلقت عليها؟ هل نالت اهتمام ورعاية بعض الأباطرة؟ هل تأثرت بما توصل إليه العلماء المسلمون من اختراعات وابتكارات في هذه العلوم؟ هل انتهت هذه الفنون بنهاية العصور الوسطى؛ أم مازالت تدرس في مدارس وجامعات أوروبا في العصر الحديث؟ وقد تناولت خطة البحث المحاور التالية: أوّلاً: الفنون السبعة الحرة في العصور الوسطى الباكرة: ق4 - ق11م. ثانياً: الفنون السبعة الحرة في عصر الإمبراطور شارلمان 768-814م. ثالثاً: الفنون السبعة الحرة في جامعات أوروبا العصور الوسطى: ق12 و13م. رابعاً: نهاية الفنون السبعة الحرة: ق13م.

أولاً: الفنون السبعة الحرة في العصور الوسطى الباكرة* : ق4 - ق 11م.

تمهيد:

عُرفت العصور الوسطى بهذه التسمية لتوسُّطها بين العصور القديمة والحديثة، وقد ورثت العصور الوسطى من القرون السابقة القريبة منها جانباً من معارفها، وهذه المعارف التي ورثتها على قلتها وضآلتها، لم تأخذها العصور الوسطى من مصادرها الأصلية، ولم تحصل عليها كما تركها أربابها من القدماء، وإنما وصلتها في أجفِّ الصيغ والقوالب من علماء القرون المسيحية الأولى (عمران، 2007: ص264)؛ ذلك أنه قد تم ضغط المعرفة في الفترة المتأخرة من العصر الكلاسيكي القديم، حتى غدت جافة يابسة بما يتلاءم والمدارك المحدودة وقتها، وكانت تلك المعرفة كلها تقريباً موجودة في عدد قليل من النصوص المختارة التي انتقل عن طريقها علم العالَم القديم إلى العصر الوسيط (هاسكن، 1981: ص ص 291-292)، ويقسم المؤرخون تاريخ العلوم في العصور الوسطى إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى أو المظلمة، وتشمل الفترة بين سنتي: 400-900م، ويتمثل دورها في إيصال بقايا تراث الفكر القديم إلى العصور التالية. المرحلة الثانية، وتشمل الفترة بين سنتي: 900، 1200م، وهي التي شهدت تدفق العلوم والمعارف العربية على غرب أوروبا. ثم تأتي المرحلة الثالثة: الممتدة حتى نهاية العصور الوسطى، وتمثل عصر ازدهار الدراسات العلمية، وهو الازدهار الذي أدَّى إلى النهضة العلمية في العصور الحديثة (الخطيب، 2006: ص203).

ـالفكر الكلاسيكي والديانة المسيحية:

بدأت العصور الوسطى عندما انهالت جحافل الجرمان** البرابرة في جوف الإمبراطورية الرومانية تكتسح أمامها كل شيء، ولهذا اعتبرها بعض المؤرخين

---

* يقسم المؤرخون التاريخ الوسيط إلى ثلاث فترات: العصور الوسطى الباكرة، وتبدأ من اضمحلال الإمبراطورية الرومانية حوالي عام 300م حتى منتصف القرن الحادي عشر، أما العصور الوسطى العالية فتمتد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، في حين تمتد العصور الوسطى المتأخرة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. (كانتور، 2001: ص ص 30-31)

** الجرمان Germani : وهو اسم أطلقه الرومان على الشعوب التي وفدت من إسكندناوة لتعيش على حدود الراين والدانوب، وهو اسم قبيلة واحدة فقط، كانت تقطن وراء الحدود الرومانية تُسمى الألماني – Allemani ومن قبائلهم القوط، الهون، الوندال، البرجنديون والفرنجة. (كانتور، 1993: ص ص 168, 184-214).

عصورَ تأخرٍ وجمودٍ وظلامٍ، وكذلك " عصور برودة وخمول واستكانة، ليس فيها من نور العلم والمعرفة شيءٌ يُذكر" (يوسف، 1987: ص299) لقد خلقت غزوات الجرمان البرابرة وانهيار العالم الروماني حالة من الفوضى والاضطراب في مختلف أوجه النشاط والحياة في غرب أوروبا؛ إذ قضت على معالم الحضارة والمدنية الرومانية، وأحلّت محلَّها حضارة قبلية بدائية تتعلق بالجرمان؛ ولذلك يطلق عدد كبير من المؤرخين على الفترة المبكرة من العصور الوسطى التي تمتد من سنة 476م إلى سنة 887م اسم "القرون المظلمة" (يوسف، 1981: ص23) وهي تسمية لا تخلو من مبالغة وإجحاف بحق تلك العصور؛ وإن كانت تعبر عن إحساسهم بمدى تدهور المستوى الحضاري في الغرب الأوروبي في تلك الحقبة، وفي الواقع أنه صاحَب سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب أواخرَ القرن الخامس الميلادي انهيارُ أغلب المؤسسات الحضارية التي عرفها العالم الروماني، ومنها المدارس، كما صحِب انتشار المسيحية رغبة في تدمير التراث الفكري الوثني، ونتج عن ذلك موجة كثيفة من التأخر الحضاري استمرت في الغرب الأوروبي عدة قرون، وهي ما أطلق عليها الباحثون اسم "العصور المظلمة" (عاشور، 1977: ص454) والصلة بين المسيحية واللاتينية قديمة منذ أيام الرومان؛ إذ إن الأدب اللاتيني كان ركناً من أركان البيئة الوثنية التي وُلدت المسيحية وسطها، وقد تقبل الأوروبيون التراث اللاتيني في اللغة والأدب والعلوم على أنه جزءٌ من تراثهم الروماني، وقد بقيت اللغة اللاتينية لغة الكنيسة الغربية في العصور الوسطى؛ فدوَّنت بها كُـتُـبَها الدينية وقوانينها ونُظُمَها وتعاليمها، وأقيمت بها طقوسها وصلواتها، وظلت معرفة اللغة اللاتينية بمثابة مؤهل لا بد لرجال الدين في الغرب من الحصول عليه (عاشور، د.ت: ص37)، غير أن أغلب الكتب والدراسات اللاتينية القديمة كانت وثنية لمؤلفين وثنيين، وتميزت بالإقبال على الدنيا والرغبة في لذاتها، الأمر الذي كان يتناقض مع تعاليم المسيحية، ما نجم عنه انقسامُ رجال الكنيسة الغربية في العصور الوسطى حول مدى التعمُّق في الدراسات اللاتينية، إذ إن مجموعةً من المتزمتين رأوا أن تُضَيَّقَ دائرة الدراسات اللاتينية إلى الحد الذي لا يتعدى الإلمام بقواعد اللغة ونحوها؛ بحيث يكفي الفردَ أن يفهم الأسلوب اللاتيني، واعتبروا أية دراسة أعمق من ذلك لتراث القدماء الوثنيين "إنما هي مَضْيَعَةٌ للوقت ومَفْسَدةٌ للنفس، ومَجْـلَـبَةٌ لتدنيس الروح" (عاشور، د.ت: ص37)، ولذلك يرى المؤرخون أن هناك علاقة وثيقة

بين المسيحية وفلسفتها التي جاءت كرَدِّ فعلٍ للعصر القديم بأفكاره ومبادئه، وبين ما حدث للتراث الكلاسيكي من تدهور وانحطاط؛ إذ لم يكن يسمح بتدريس علوم وآداب اليونان والرومان القدماء؛ لِمَا تحتويه من عناصر وثنية لا تتناسب مع المسيحية وما كانت تدعو إليه؛ ولذا حاربت الكنيسة اللاتينية التراث الكلاسيكي القديم، حتى لم يتبقَّ منه مع بدايات العصر الوسيط إلا قليلاً جدًّا وضعيفاً في مستواه (يوسف، 1981: ص ص26-28)، ويشار إلى أنه حتى سنة 600م ظلت المدارس في الغرب الأوروبي تقدم تعليماً ابتدائيًّا عامًّا لإعداد الأفراد للحياة؛ غير أنها في ظل المسيحية تحولت بشكل كليّ إلى إعداد رجال الدين للمستقبل، ومن جهة أخرى فإن الجرمان الذين هاجموا الإمبراطورية الرومانية وسيطروا على أغلب جهاتها في الغرب منذ القرن الخامس الميلادي؛ أظهروا نفوراً قويًّا من التعليم، حتى إن ثيودوريك: 493-526م ملك القوط الشرقيين: 493-553م في إيطاليا حرَّم إرسال أبناء القوط إلى المدارس، وكانت حجته في ذلك أن الصغار الذين يشبُّون على الخوف من عصا المعلم لن تكون لديهم في المستقبل الشجاعة الكافية لمواجهة السيوف والحراب (عاشور، 1977: ص ص 454-455)، وبذلك أصبح التعليم في هذه الفترة المبكرة ذا طابع ديني واضح؛ إذ إنه مرتبطٌ بالمسيحية التي كانت قد تغلغلت وأصبحت الدين الرسميَّ في الغرب بعد القضاء على الوثنية وعبادة الإمبراطور، وقد نتج عن ذلك ظهور نهضة تعليمية متواضعة في ظل الكنيسة الجديدة، وأصبح لها دور كبير في المحافظة على العلم في بداية العصر الوسيط (يوسف، 1981: ص ص 38-39) "فقد احتكرت الكنيسة بطبيعة الحال التعليم الديني" (كولتون، 1981: ص101) فقامت بإنشاء المدارس في الأديرة لخدمة أغراضها فقط، وبذلك انتشرت المدارس الديرية في طول البلاد وعرضها لتعليم الصغار الذين يتم اختيارهم ليصبحوا قساوسة ويعملوا في سلك الكهنوت بعضَ المعارف والعلوم الدينية، وعلى هذا فقد كان التعليم في هذه المدارس الديرية مقتصراً على تلقين الطلاب ما يؤهلهم للعمل في السلك الكنسي فقط؛ إذ كان منوطًا بهم دراسة اللغة اللاتينية لإجادة قراءة الكتب الدينية والقيام بالوعظ والإرشاد، كما كان عليهم تفهُّمُ أسفار الكتاب المقدس، ودراسة الموسيقى والألحان الدينية لأداء الخدمات والطقوس الشعائرية (يوسف، 1981: ص ص 39-40)، ورغم أن هذه الدراسات كانت ذات طابع دينيّ صِرْفٍ، فإنها كانت تتطلب تعليم رجل الدين تعليماً دنيويًّا يستند إليه كأساس لثقافته الدينية، فقد كان

عليه أن يدرس قواعد الحساب والرياضيات والفلك والهندسة؛ حتى يتمكن من تحديد التواريخ والأعياد وأيام القديسين وغير ذلك مما يتعلق بالشؤون الدينية، وتجدر الإشارة إلى أن جميع هذه المواد من دينية ودنيوية كانت مجرد أداة لتفهُّم الدين فقط، رغم أنها " كانت قد ساعدت بعد ذلك وبشكل غير مباشر على تطور الفكر البشري وتحرره من القيود التي عاش أسيرَها عدة قرون عندما تهيأت الظروف لذلك " (يوسف، 1981: ص40) ولعل ما يؤيد ذلك قول القديس بونافنتورا الفرنسيسكاني: 1221-1274م في القرن الثالث عشر الميلادي "إن فهم الكتب المقدسة لا يتم من غير الإلمام بعلوم أخرى" وهذا يتفق مع ما قاله سابقاً القديس أوغسطين في القرن الرابع الميلادي، ومن ثم كانت دراسة "العلوم الحرّة" لازمة للكنيسة لزوم الموادّ الأدبية والعلمية للتعليم في الدولة الرومانية قبل المسيحية (كرامب، 1965: ج1، ص362) (يوسف، 1981: ص40) أي أن الكنيسة أقرت تدريس الفنون السبعة الحرة التي كانت تلقَّن لتلاميذ المدارس الوثنية، ولكن على أسس مسيحية، فقد أدركت الكنيسة أن هذه الفنون أساسية ولابدّ منها لفهم الكتاب المقدَّس نفسه (عاشور، 1977: ص455) وقد استغرق قيام هذه الدراسات وتأصيلها وقتاً غير قصير، كما أنها كانت مأخوذة من تآليف عدد من الكتاب الذين عاصروا المرحلة الأخيرة من مراحل الحضارة الرومانية عند انهيار العالم القديم وبداية العصر الوسيط، وكان أبرزهم ثلاثة هم: بيوثيوس، وكاسيودورس، ومارتيانوس (يوسف، 1981: ص ص 40-41) (يوسف، 1987: ص301) وهو ما يعني توافق قادة الكنيسة المسيحية في أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية مع الثقافة الكلاسيكية "وهو أمر كبير الأهمية لتاريخ الثقافة الغربية، وقد نتج عن ذلك تبنّي النظام التعليمي الذي وضعته الكنيسة في أوروبا العصور الوسطى لجزء كبير من الأدب الكلاسيكي والفلسفة، كما أصبح القسم الأهم من نتاج الفكر اليوناني – الروماني محوراً تتركز حوله الثقافة اللاتينية المسيحية" (كانتور، 1993: ص97) وبحلول القرن الثاني الميلادي، كان التراث الكلاسيكي الذي قُدِّرَ للمسيحية أن تتبناه في الغرب اللاتيني مضمحلاً، وكاد يكون مُجْدِباً من الأفكار الجديدة، والواقع أن آباء الكنيسة هم الذين أعطوه دفعة جديدة للحياة؛ إذ كانت كل الأعمال المهمة المكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية في أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية من إنتاج رجال الكنيسة، ولقد أرسى كليمنت السكندري (القرن الثالث الميلادي) المبدأ الذي لقي قبولاً

عالميًّا تقريباً بين آباء الكنيسة وكتّاب العصور الوسطى، وهو المبدأ القائل بأن التعليم الكلاسيكي شرط أساسي وضروري لفهم الكتاب المقدس فهماً كاملاً (كانتور، 2001: ص ص 92 ، 95) وفي الوقت الذي كان فيه الأدب الكلاسيكي اليوناني فلسفيًّا إلى حدٍّ كبير، كان الأدب اللاتيني لا أخلاقيًّا، بل فاضحاً، ما حدا بمفكّري الكنيسة الغربية في القرن الرابع الميلادي إلى أن يتخذوا موقفاً أكثر حذراً تُجاهَ التراث الكلاسيكي من موقف رفاقهم اليونانيين، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة بين رجل وآخر، وحسموا بذلك مصير أوروبا التعليمي والفكري على مدى السنوات الألف التالية، وكانت آراء القديس جيروم والقديس أوغسطين حاسمة بهذا الصدد (كانتور، 1993: ص105).

1. القديس جيروم: 340-420 م:

كان جيروم عالماً كبيراً وكاتباً مبدعاً ومصلحاً محباً للبحث ورجالِه، إذ أنشأ ديراً في مدينة بيت لحم بفلسطين، وطلب من الرهبان التابعين له نسخ المخطوطات، وبذلك فقد ابتدع عادة حافظت على التراث اللاتيني في العلم والمعرفة طيلة فترة العصور الوسطى، ومن أهم مآثره في الفكر المسيحي ترجمته للإنجيل من العبرية والإغريقية إلى اللاتينية، والتي عرفت بـ "الفولجاتا- " Vulgata، وأصبحت الترجمة المعتمدة المعترف بها في الكنيسة الرومانية في العصور الوسطى والحديثة (هُلستر، 1988: ص ص46-47) (يوسف، 1981: ص ص28-29) (كانتور، 1993: ص106) (ديورانت، 2001، ص ص106-108، 111-112) ورغم أن جيروم كان من عائلة مسيحية، فإنه تلقى تعليماً كلاسيكيًّا شاملاً، غير أن أهم أثر لأعمال جيروم أنه مضى قدماً بعملية استيعاب الكنيسة اللاتينية للتراث الكلاسيكي، ولم يكتفِ القديس جيروم بالتصريح بفكرة تقول إن الجمع بين التراث الكلاسيكي والديانة المسيحية ممكنٌ وغيرُ متناقض فقط، بل إنه قال أيضًا إنه يمكن تسخير هذه الفكرة لخدمة الكنيسة في مجالات التعليم المسيحي والدفاع عن العقيدة (كانتور، 1993، ص105-107).

2. القديس أوغسطين: 354-430 م:

ولد أوغسطين في مدينة تاكوستا- في نيوميديا (الجزائر)، من أبٍ وثنيٍّ وأمٍّ مسيحية، ونشأ في بداية حياته وثنيًّا، وعمل مدرساً لعلم البلاغة (البيان) في

قرطاجة، ثم في ميلان في إيطاليا، فكان على معرفة واسعة بآداب اللاتين القدامى، وقرأ الكثير عن فلسفة الإغريق وأدبهم في التراجم اللاتينية، ثم أصبح أسقفاً لمدينة هيبو-Hippo (بونة) في الجزائر، ويعد أهم آباء الكنيسة اللاتينية في العصر الوسيط المبكر، وهو أول من وضع الخطوط الأساسية لعلم اللاهوت في العصور الوسطى، وله مؤلفات أثرت على الأدب المسيحي في العصر الوسيط، أهمها كتاباهُ: الاعترافات، ومدينة الله (اليوسف، 1967: ص ص 61-62) (يوسف، 1981: ص ص 29-30) (حاطوم1982: ص67،) (هُلستر، 1988: ص47) وكان القديس أوغسطين أقلَّ تحيُّزاً لقيم الثقافة الكلاسيكية من معاصره القديس جيروم، ورأى أوغسطين أن يؤخذ من التراث الكلاسيكي ما يبدو ضرورياً ومفيداً لتحقيق غايات الكنيسة وأهدافها، على الرغم من أنه لا يصح دراسته من أجل المعرفة به فقط، وكانت له اقتراحات عن كيفية تطبيق هذا البرنامج؛ إذ قال إنه ينبغي الحفاظ على نظام التعليم الروماني ومناهجه لكي تبقى الكنيسة متعلمة، كما أنه أوصى بإعداد ملخصات الفنون الحرة، وملخصات دراسية لموضوعات الفلسفة الكلاسيكية والأدب الكلاسيكي التي تتوافق مع العقيدة المسيحية، وكان للاقتراحات التي وضعها أوغسطين عن العلاقة الصحيحة بين المسيحية والأدب الكلاسيكي تأثيرٌ كبيرٌ في العصور الوسطى الباكرة (كانتور، 1993: ص107) (هُلستر، 1988، ص47). وفيما بين القرن الخامس والقرن الثامن سار التعليم المسيحيّ على الخط الذي حدده أوغسطين: أي الدراسة المستمرة للنحو والبلاغة باعتبارهما قوام البرنامج التعليمي، وتأليف ملخصات الفنون الحرة، وأقصى ما كان يمكن أن يفعله هذا العالم في هذه الظروف؛ هو أن ينهل من التراث الكلاسيكي من خلال الموجزات والملخصات والموسوعات، وبذلك كان تأثير القديس أوغسطين من جهة، وظروف تاريخ الغرب الثقافي بين القرن الرابع والقرن الثامن من جهة أخرى؛ هو السبب في وصول التراث الكلاسيكي إلى الكنيسة المسيحية، من خلال الملخصات والمقالات الموجزة في البلاغة والفنون الحرة والعلوم، ويرى بعض المؤرخين أن هذه المقالات والموسوعات كانت الجسر بين مدارس القرن الرابع والمدارس الكارولنجية التي أخذت في الازدهار منذ أواخر القرن الثامن (كانتور، 1993: ص108) وكان أول أولئك الموسوعيين أو "الناقلين اللاتين" كما عُرِفوا في ذلك الوقت هو:

أ. مارتيانوس كابلا – Martianus Capella، ويرجع إلى أوائل القرن الخامس الميلادي، وهو روماني الأصل من شمال أفريقيا، وكان عليماً بالآداب القديمة والثقافة الوثنية، وكان من معاصري أوغسطين (كانتور، 2001: ص98) (عمران، 2007: ص ص 264-265) (هاسكنز، 1981: ص291) وقد ألَّفَ مارتيانوس رسالة (مقالة) في علم اللغات في الفترة ما بين سنة 410 وسنة 429م، لقيت قبولاً واسعاً، وأثرت في الحياة الفكرية حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وقد أطلق على مقالته اسماً غريباً-كما يشير بعض المؤرخين- وهو "زواج الفيلولوجيا ومركوريوس"، ويبدأ موضوع المقالة بقصة مجازية تنتهي ككتاب مدرسي عن الفنون الحرة السبعة. ويرى المؤرخون أن رسالة مارتيانوس كابلا هي التي حددت عدد الفنون الحرة بسبعة، ورسخت ذلك في عقول الأوروبيين في العصور الوسطى الباكرة (كانتور، 1993: ص108) (طرخان، د.ت: ص84) وحسب رسالة مارتيانوس تقع الفنون السبعة الحرة في مجموعتين: المجموعة الثلاثية التي أطلق عليها كتّاب العصور الوسطى منذ ذلك الوقت اسم تريفيوم – Trivium) ؛ فكانت تضم الفنون الأدبية: النحو والبلاغة والمنطق، أما المجموعة الرباعية، وهي الكوادريفيوم – Quadriviu التي تسمى كذلك بالمجموعة الرياضية، أو مجموعة الفنون غير الأدبية أو الفنية؛ فهي الحساب، والهندسة، والفلك، والموسيقى (كانتور، 2001: ص99) كما ترك مارتيانوس عددًا من المؤلفات تعدّ من نوع الكتب العامة التي نالت مكانة كبيرة، إذ كانت خيرَ ممثل للثقافة الكلاسيكية القديمة في ظل التطورات التي استجدت على العالم الأوروبي آنذاك، إذ حافظ على التقاليد الكلاسيكية المتعلقة بأمور العلم والتعليم (يوسف، 1981: ص45).

ب. أنيكيوس مانليوس بيوثيوس-Anicius Manlius Boethius: 470-525م، ولد من عائلة رومانية أرستقراطية، ودرس وهو صبي صغير في أثينا الأدب والفلسفة، وكان معاصراً لكاسيودورس: 480-575م، ولم تقتصر شهرته كأديب على إيطاليا فقط؛ بل تعدتها لتشمل الغرب المسيحي كله، إذ عمل على إحياء التراث الكلاسيكي من خلال التراجم المختلفة التي قام بها لمشاهير اليونان، ومن أهمها: الرياضيات لإقليدس (عاش في مطلع القرن السادس قبل الميلاد)، والمنطق لأرسطو: 384-322ق.م. الذي ترجمه إلى اللغة اللاتينية (اليوسف،

1967: ص57) (يوسف، 1981: 41) ويعد عمله هذا من الخدمات التي قدمها بيوثيوس إلى الفكر الغربي، فقد كانت ترجمته هذه هي النص الوحيد المتوفر في الغرب من مؤلفات هذا الفيلسوف الكبير في العصور الوسطى الباكرة، ومن ثم كانت مساهمة في غاية الأهمية للحفاظ على بعض مظاهر الفلسفة اليونانية في العصور الوسطى. وقد عمل بيوثيوس على إرساء أسس الديانة المسيحية ووضع قواعدها كما فعل آباء الكنيسة الأول، ولاسيما القديس أوغسطين أوف هيبو (يوسف، 1981: ص ص 41-42) (كانتور، 1993: ص111) كما عمل حثيثاً على التوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية القديمة؛ وذلك بأنْ جهِد في أن يدخل عليها التشدد والمنطق الأرسطيين، وقد اعتبرت هذه المحاولة بشكل حقيقي مرحلة انتقال بين الفلسفة القديمة التي كانت قد انتهت منذ أوائل القرن السادس وبين فلسفة العصور الوسطى التي تقع فيما بين القرنين التاسع والرابع عشر أو الخامس عشر، "وقد ألّف لهذه الغاية أبحاثاً في التربية العلمية تدخل في سلسلة الفنون الحرة " (يوسف، 1981: ص41) (غريمال، وآخرون، 1957: ص237) من ذلك مثلاً أنه ترجم بعض كتب أرسطو إلى اللاتينية، وله شرحٌ على كتاب الجدل لشيشيرون 106-43 ق.م، وألف عدة كتب في القسمة والجدل واللاهوت والرياضيات والموسيقى، وعلى هذا فقد رأى بعض المؤرخين أن مؤلفات هذا الفيلسوف -الذي عاش في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس- في المنطق والموسيقى والرياضيات وغير ذلك من الفنون؛ لها علاقة وثيقة بشؤون العلم والتعليم في المجتمع الغربي الوسيط في ذلك الوقت، وقد ترك أثره الواضح عليها (يوسف، 1981: ص ص 43-44) ثم أعدم بيوثيوس سنة 524م بعد أن اتُّهم بخيانة الملك ثيودوريك الذي عيّنه وزيراً سنة 510م. (اليوسف، 1967: ص ص 57-58) (يوسف، 1981: ص41) (يوسف، 1987: ص ص70، 72)

ث. ماجنوس أورليوس كاسيودورس Magnus Aurelius Cassiodorus: 480 – 575م، كان من عائلة أرستقراطية رومانية، عمل وزيراً في عهد ثيودوريك ملك القوط الشرقيين، وتتمثل أهمية كاسيودورس الحقيقية في محاولته إثبات أهمية العلوم الدنيوية وفائدتها، في وقت بدأت فيه هذه العلوم تفقد مكانتها، (اليوسف، 1967: ص57) (يوسف، 1981: ص44) (كانتور، 1993: ص110) ثم لجأ إلى الحياة الديرية، وقام بتأسيس دير في بلدة

فيفاريوم في إقليم كالابيريا بجنوب إيطاليا، أي إنه عمل على الحفاظ على التراث الكلاسيكي في الممالك الجرمانية، وكان كاسيودورس أول من أسس ديراً كمركز للدراسة، وهو النمط الذي سارت عليه العديد من الأديرة بعد ذلك (دوسن، 1967: ص79) (كانتور، 2001: ص ص 99-100) وقد دعته الحاجة إلى صياغة برنامج لتعليم تلاميذه في الدير إلى كتابة ملخص عن الفنون الحرة، ولما كان كاسيودورس يعتقد أن الهدف النهائي من التعليم الديري هو دراسة اللاهوت والكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة؛ فقد نادى بأنه يجب البدء بدراسة الفنون الحرة حتى يتحقق هذا الهدف بطريقة سليمة، وعلى هذا فقد قام كاسيودورس بإعداد خطة لدراسة الفنون السبعة الحرة، تتمثل في نوع من المقررات المدرسية للمعرفة العامة، إضافة إلى قائمة بمصادر الكتابات الكلاسيكية ليصبح المجال واسعاً أمام الرهبان للاطلاع على المزيد من الدراسات الحرة (كانتور، 1993: ص110) وكان برنامج كاسيودورس هو الأساس الذي قام عليه المنهج الدراسي في المدارس الديرية أوائل العصور الوسطى، وبذلك كانت هذه الخطوة إسهاماً فعالاً للغاية في الحفاظ على التراث الكلاسيكي في الغرب (كانتور، 2001: ص100) وقام كاسيودوريس بتأليف منهجين للدراسات الديرية في كتابه الذي كان بعنوان: "قوانين الرسائل الدينية والدنيوية" ويعدّ أحد المصادر الأساسية لتاريخ الثقافة في العصور الوسطى، وتناول الجزء الأول من تلك القوانين مسألة التعليم الديني، وأكد على أن الدراسة يجب أن تلتزم البحث في الكتاب المقدس أو كتابة نسخ منه، أما الجزء الثاني من القوانين فيحتوي على موجز عام لمنهج العلوم السبعة الحرة – خاصة النحو والبلاغة والجدل – وهو المنهج الدراسي القديم الذي عرفته أواخر أجيال الإمبراطورية الرومانية القديمة في صورة معدلة ملائمة لحاجات المجتمع المسيحي الجديد (دوسن، 1967: ص79)؛ ذلك أن كاسيودوريس اعتبر العلوم الحرة – مثل أوغسطين – وسيلة لاغاية للتعليم الديني، لكنها وسيلة ضرورية؛ لأن إهمال هذه العلوم يؤدي إلى إضعاف الثقافة اللاهوتية وفقرها، وهي التي جاءت تلك العلوم لخدمتها (دوسن، 1967: ص ص 79-80)

ويشير المؤرخون إلى أن المعلومات التي كتبها هؤلاء المفكرون في الحساب والهندسة والفلك؛ معلومات سطحية ليست عميقة، بعكس الدراسات التي تتعلق بالنحو والبلاغة والجدل، وقد اشتمل النحو على فقه اللغة اللاتينية وقواعدها،

وظلت الدراسات اللاتينية الكلاسيكية هي الأساس لتعلم هذه اللغة، ودرس طلاب العلم في تلك العصور مؤلفات فرجيل: 71-19 ق.م وأوفيد: 43-16م وبليني: 97 ق.م وشيشيرون وسالوست وغيرهم من أعلام الشعر والنثر عند الرومان القدماء لتعلم البلاغة وقواعد النحو اللاتيني الصحيحة (يوسف، 1981: ص46) وكان للجدل والمنطق أهمية كبيرة في تلك العصور؛ ذلك أن الكنيسة سمحت لرجالها بالتوسع في دراستهما لتتمكن من إقناع الخارجين عليها واكتساب الناس إلى حظيرتها، أي إنها استخدمتهما لخدمة الدين الجديد وأهدافه فقط (يوسف، 1981: ص ص 46-47) ويعد هؤلاء الثلاثة من أشهر الفلاسفة والمفكرين الذين عاصروا فترة احتضار الإمبراطورية الرومانية ومدنيّتها وبداية العصر الوسيط، فامتزج في كتاباتهم التراث الكلاسيكي القديم بالمسيحية، وقد أنتج ذلك حضارة جديدة لها طابعها الخاص بها، لا هي رومانية بحتة، ولاهي جرمانية خالصة، تلك الحضارة التي ميزت العصور الوسطى المبكرة التي يطلق عليها بعض المؤرخين اسم "العصور المظلمة" تمييزاً لها من العصور الوسطى الحقيقية (يوسف، 1981: ص47). والخلاصة أنه أصاب العلم واللغة اللاتينية والتراث الكلاسيكي القديم الكثير من التدهور والانحلال في الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والسادس، بسبب حالة الفوضى التي ألمّت بالغرب إثرغزوات البرابرة التي قضت على المدنية الرومانية، والديانة المسيحية التي حلت محل الوثنية وعبادة الإمبراطور (يوسف، 1981: ص47)

ث. إيسيدور الإشبيلي-Isidore Of Seville: 570-636م

كان إيسيدور آخر المساهمين الكبار في التراث الكلاسيكي في الغرب منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن، وهو عالم القرن السابع وأسقف مدينة إشبيلية، وكان في الأصل ينتمي إلى عائلة رومانية عريقة، كانت قد خرجت من شمال إفريقية إلى إسبانيا في القرن السادس، وقد ألف إيسيدور موسوعة تتألف من عشرين كتاباً تسمى "الاشتقاقات أو الأصول"، أصبحت بمثابة دائرة معارف ضخمة طيلة فترة العصور الوسطى، ومن خلالها أصبح له تأثير كبير على التعليم في العصور الوسطى (كانتور، 1993: ص111) ويرى المؤرخون أن الموسوعة قد وجدت إقبالاً واسعاً وأيضاً كان تأثيرها كبيراً؛ لأن إيسيدور لم يحصر نفسه داخل إطار الفنون الحرة، ولكنه حاول أن يقوم بمسح شامل للمعارف في العالم اليوناني-

الروماني؛ أي أنه عمل على ان ينقل إلى عالم العصور الوسطى الباكرة قدراً كبيراً من المعلومات المستقاة من خارج نطاق الفنون الحرة (كانتور، 2001: ص101) ويرى بعض المؤرخين أن هؤلاء الذين يلقبون بـ " الناقلين اللاتين" لم يكونوا مفكرين على قدر من الأصالة أو المعرفة الوثيقة باللغة؛ غير أنهم أدوا دوراً في غاية الأهمية؛ إذ أُوكلت إليهم مهمة تحقيق حفظ الكنيسة المسيحية للجزء الأكبر من التراث الكلاسيكي، وقد أحسنوا بقدر كافي لأن تظل الكنيسة متعلمة ومرتبطة بالتراث الكلاسيكي، ويشارإلى أنه رغم ما كان يؤخذ على" الناقلين اللاتين" إلا أنهم مهدوا السبيل أمام الإحياء الثقافي في القرن الثامن وطوال القرن التاسع في العالم الكارولنجي: 771-887م الذي شهد-على أقل تقدير-عودة جزئية لعصر ثقافة آباء الكنيسة بما تميز به من ثراء وعطاء" (كانتور، 1993: ص112)

1. تعريف الفنون الحرة: يشير بعض المؤرخين إلى: " أن التعليم اعتُبر طوال فترة العصور الوسطى تقريباً في المدارس الديرية والأسقفية والكاتدرائية وجامعات ما وراء جبال الألب؛ مهمةً دينيةً ملقاةً على عاتق الكنيسة من أجل إعداد الفرد روحيًّا للنهوض بالواجبات الدينية لنفسه ونحو العالم المسيحي؛ إذ انصبّ التدريس بالدرجة الأولى على الكتب المقدسة المتألفة من العهدين القديم والجديد، وما جاء به آباء الكنيسة الأوائل، كما توجد مواد أخرى ثقافية غايتها مساعدة الفرد على تفهم الكتب الدينية وتعاليمها، وتسمى المواد الثقافية المساعدة بالآداب الحرة السبعة.Seven Liberal Arts، وهي محور التعليم على اختلاف مراحله في المدارس والجامعات، ولا يتسنّى للطالب الاختصاص في أيّ فرع من فروع المعرفة ما لم يكن قد ألم بنجاح في تلك المواد" (اليوسف، 1967: ص ص 235-236) وتقسم الفنون الحرة إلى مجموعتين هما: المجموعة الثلاثية، والمجموعة الرباعية (هاسكنز، 1981: ص291) (اليوسف، 1967: ص236) والنحو هو أول العلوم السبعة وأهمها جميعاً، وهو المعرفة التي تمكن المرء من تفهّم الشعر وما يكتبه المؤرخون، وهي الوسيلة الفضلى لتعلم فنَّيِ الكتابة والبلاغة، وهو منبع العلوم السبعة وأساسها جميعاً، أما البلاغة فهي تمكّن الإنسان من التعبير عن آرائه بأسلوب أدبيّ، ويستعان على تعلمها بما كتبه مشاهير الرومان وآباء الكنيسة، من قطع نثرية، وتشمل إنشاء الرسائل، كما أن للمنطق

أهمية كبيرة؛ إذ يمكّن الإنسانَ من فهم الآراء الفلسفية المستندة إليها العقيدة، وعُرِّفَ المنطقُ بأنه فنٌّ الفنون، وعلمُ العلومِ، والهادي إلى أصل الأصول، ولذلك يجب أن يكون المنطق أولَ ما ينبغي أن يبدأ به الطالب، أما المجموعة الرباعية، فقد شملت تلك الفنون كما فهموها في تلك العصور ما لا تشمله الآن؛ إذ شملت الهندسةُ مبادئَ تقويمِ البلدان، ودرست الطبيعة تحت اسم الفلك، ويدرس الطالب قواعد الحساب لتحديد أيام الأعياد والقديسين، أما فن الموسيقى وقواعد الغناء، فيدرسه الطالب ليتمكن من أداء الترانيم الكنسية (كرامب، 1965: ص ص 386-387) (اليوسف، 1967: ص236) (عمران، 2007: ص265) (هاسكنز، 1981: ص124)

2. تسمياتها: وقد أُطلقت عدةُ تسمياتٍ على هذه الفنون، ومنها: العلوم السبعة الحرة، العلوم الحرة(كرامب,1965:ص ص 362, 386) ,الفنون السبعة الحرة، العلوم الحرة، الفنون الحرة، الدراسات التثقيفية، المجموعة الثلاثية والمجموعة الرباعية (دوسن، 1967: ص ص 60، 80، 277) الآداب الحرة السبعة، المواد الثقافية المساعدة (اليوسف، 1967: ص235) وقد أطلق البعض على المجموعة الثلاثية اسم " المقدمات"، وعلى المجموعة الرباعية اسم " التعاليم " (واط، 2016: ص125) والفنون العقلية السبعة (بروي، 1986: ص324) والدراسات التمهيدية (بيشوب، 2005: ص280) والبرامج التربوية (غريمال، وآخرون، 1957: ص237) وكذلك " العناصر الجرداء " (هاسكنز، 1981: ص243) وكان مارتيانوس كابيلا أول من حدد الفنون السبعة الحرة بالنحو والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى (عاشور، 1977: ص ص 455-456) ؛ إذ أشار بعض المؤرخين إلى ذلك بقولهم: " غير أن عدد العلوم الحرة لم يتحدد نهائياً إلا في عصر مارتيانوس كابيلا وغيره من المؤلفين في أواخر عصر الإمبراطورية " (دوسن، 1967: ص60) " والواقع أن رسالة مارتيانوس كابيلا هي التي حددت عدد الفنون الحرة بسبعة، و ثـبَّتتْ ذلك في أذهان الناس في العصور الوسطى الباكرة " (كانتور، 1993: ص108) وقد وصلت الفنون السبعة الحرّة إلى العصور الوسطى بشكل خاصّ، من خلال هذه الرسالة التي ألّفها مارتيانوس كابيلا في علم اللغات في الفترة ما بين استيلاء آلاريك القوطي على روما سنة 410م، وبين فتح جزريك الوندالي أفريقية سنة 429م، (هاسكنز،

1981: ص291) (طرخان، د. ت: ص84) كما يُرجِع المؤرخون بداية تقسيم هذه العلوم إلى مجموعتين ثلاثية ورباعية إلى عصر النهضة الكارولنجية* (دوسن، 1967: ص60) وكانت المجموعة الأولى (الثلاثية) هي الأكثر أصالة، وبها يبدأ الطالب دراسته، في حين تعدّ المجموعة الثانية (الرباعية) أساسية بما فيه الكفاية، وفي فترة انحلال العلم والتعليم القديم كان عدد هذه الفنون محدوداً، كذلك كان الحال بالنسبة لمضمونها الذي كان يخضع لمقاييس ثابتة (هاسكنز، 1981: ص291) أما الكتب الدراسية في المدارس الديرية والكاتدرائية في الفترة المبكرة، فقد كانت قليلة العدد وبسيطة في محتوياتها، إذ كانت تدرّس كتب أجرومية اللغة اللاتينية وقواعدها للكاتبين: دوناتوس-Donatus، وبريسكيان-Priscian، وعددًا من كتب القراءة الأولية، كذلك كتيبات بيوثيوس في المنطق والحساب والموسيقى والبلاغة والهندسة، وكتاب مجمل علم الفلك لـ "بيده الوقور – Bede "، غير أن هذه المجموعة القليلة من الكتب أخذت في النمو والازدياد في مختلف مجالات الفنون، وذلك يعود إلى النهضة العلمية التي شهدها غرب أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي** (هاسكنز، 1981: ص ص 292-294) ويشير المؤرخون إلى أن مارتيانوس كان متفقاً مع ما رآه القديس أوغسطين من أن الطب والقانون ليسا من الدراسات الحرة؛ لأنهما يهتمان بأمور تطبيقية، أو لأنهما مخالفَيْنِ للعلوم النظرية، وعلى هذا فقد حذف مارتيانوس الطب والقانون من قائمة الفنون الحرة؛ الأمر الذي أدى إلى فصلهما من كليات الدراسات الإنسانية في جامعات العصور الوسطى العالية؛ بل ومن الجامعات والمعاهد الأكاديمية الحديثة، وقد أصبحت مقالة مارتيانوس عن الفنون الحرة الأساس الذي قام عليه المنهج الدراسي في مدارس العصور الوسطى الباكرة. (كانتور، 2001: ص99).

ورغم ذلك فقد ظل الجمود والظلام مسيطرَينِ بشكل عامٍّ على غرب أوروبا حتى أواخر القرن السابع الميلادي، حينما ظهرت نهضة كبيرة في إيرلندا بقيادة

* النهضة الكارولنجية : نسبة إلى شارل أو كارل العظيم أشهر حكام الأسرة الكارولنجية، وهي نهضة علمية شاملة كان مركزها بلاط شارلمان، وامتدت من حوالي سنة 773م حتى وفاة شارلمان سنة 814 م.(عاشور، د . ت، ص ص 47، 52) .

** يقصد بنهضة القرن الثاني عشر الميلادي التغييرات الحضارية والتطورات الفكرية التي تعرضت لها أوربا فيما بين أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلاديين في النواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية.(عاشور، د.ت، ص111).

الكنيسة والأديرة الإيرلندية؛ إذ حملت إيرلندا مصباح العلم والمعرفة في ذلك العصر المظلم، الذي غرقت فيه دول الغرب في وحل الفوضى والاضطرابات العنيفة في جميع نواحي الحياة، الأمر الذي أثر على العقل والفكر في القرون الأولى من العصور الوسطى (يوسف، 1981: ص51) وقد أسفر عن هجرات الإيرلنديين إلى إنجلترا وغيرها من دول غرب أوروبا انتشارُ تلك النهضة العلمية في سائر أنحاء أوروبا، وقد بلغت هذه الحركة أوجَ قوَّتِها في أواخر القرن السابع، وخلال القرن الثامن على يدِ كلٍّ من المؤرخ بيده: Bede-675-735م، والفيلسوف ألكوين-Alcuin: 735-804م (يوسف، 1981: ص ص 51-52) وأصبح بيده يمثل حصيلة النتاج الفكري لغرب أوروبا في الفترة الواقعة بين زوال الحضارة إثر غزوات البرابرة، وبين قيام النهضة الكارولنجية بإحياء الإمبراطورية الرومانية في بداية القرن التاسع أيام شارلمان: 768-814م، وكانت مؤلفاته الأولى في قواعد اللغة وعلم البيان، وقد سار في هذا على نهج كلٍّ من كاسيودورس وإيسيدور، وقد بدأ دراسته بالسيطرة على الفنون الحرة (يوسف، 1981: ص ص 52-53) وكان ألكوين حلقة الوصل بين النشاط الفكري والثقافة في الجزيرة البريطانية وإيرلندا من جهة، وبين دول غرب أوروبا عامةً وغالةَ بشكل خاصٍّ من جهة أخرى (يوسف، 1981: ص54)

ثانياً: الفنون السبعة الحرة في عصر الإمبراطور شارلمان: 768-814م:

ورغم أن غرب أوروبا قد عاش بشكل عامٍّ في جهل مطبق خلال القرون الأولى من العصر الوسيط، ماعدا فئة قليلة من رجال الدين؛ فإن نهضةً علميةً شاملةً قد تم إحياؤها منذ أواخر القرن الثامن الميلادي، يعود الفضل فيها إلى الإمبراطور شارلمان، فسمّيت باسمه ونُسبت إليه؛ فأطلق عليها اسم النهضة الكارولنجية، وقد أدى استقرار الأحوال في غالةَ بوجهٍ خاصٍّ، والغرب بوجهٍ عامٍّ بعد فترة طويلة من الركود والاضطراب؛ إلى تقدم الحضارة والثقافة، وظهور هذه النهضة العلمية الكبيرة، وإنقاذ الأدب اللاتيني من الأوضاع المتردية التي مر بها طوال القرون السابقة (يوسف، 1981: ص59) وكان مما ميَّـزَ عصرَ شارلمان ميزةٌ خاصةٌ هي المزج بين التراث الروماني القديم وبين حضارة الجرمان المتبربرين، فنتج عن ذلك مدنية جديدة، لا هيَ رومانية خالصة، ولاهي

جرمانية خالصة، بل هي رومانية جرمانية في ذات الوقت (يوسف، 1981: ص59) ولم تقتصر النهضة العلمية الكارولنجية على عاصمة مُلكِهِ إكس لاشابل (آخن) ؛ بل تعدّتها لتشمل بقية أجزاء دولته المترامية الأطراف، وأنَّ غالة آنذاك كانت فيما يتعلق بأمور العلم والتعليم والثقافة أقلَّ بكثير من إيطاليا وبريطانيا؛ فقرر شارلمان النهوض بغالة، ووجَّه اهتمامًا خاصًّا بالحركة العلمية بها، وعمل على إحياء الدراسات الأدبية، واهتم بجمع الكتب القديمة التي لم تتعرض للتلف من مؤلفات اللاتين القدامى في إيطاليا وغيرها من دول غرب أوروبا (يوسف، 1981: ص60).

مدرسة القصر: Academie Palatine والفنون السبعة الحرة:

تعدّ مدرسة القصر التي أسسها الإمبراطور شارلمان بمدينة إكس لاشابل (آخن) مركز إحياء العلوم، وتجدر الإشارة إلى أنها لم تكن وليدة عصر شارلمان، بل إن أصولها تمتد إلى العصر الميروفنجي: 481-751م، إلا أنه كان ينقصها النظام والتبلور والعلم الحقيقي؛ ما ترتب عليه بقاء الأرستقراطية الفرنجية على جهلها بأبسط مبادئ الثقافة؛ فانتشر أثرها إلى الأديرة في غالة وألمانيا، وإلى الأسقفيات أيضاً، وكانت مدرسة القصر مركزاً للنشاط الثقافي الذي كان يشهده أفراد الأسرة الملكية وأبناء الفرنجة، وكثيرا ما كان تلاميذها يتولَّوْنَ مناصب رئاسيةً في بعض أراضي الراين ومواطن أخرى من الدولة، حيث أصبحت مركزاً للعلوم والفنون (العريني، 1968: ص292) (صبرة، 1982: ص316) وقد عهد الإمبراطور شارلمان بإدارة هذه المدرسة إلى ألكوين، كما استدعى شارلمان عددًا كبيرًا من علماء عصره من الأدباء والفلاسفة واللاهوتيين والمفكرين، مثل ثيودولف الإسباني، وبطرس البيزوي، وبولس الشماس، وغيرهم من مختلف جهات القارة الأوروبية، ولاسيما من إنجلترا وإيطاليا وإسبانيا للاشتغال بأمور العلم والتعليم في هذه المدرسة لتعليم أبنائه وأبناء كبار رجال حاشيته (يوسف، 1981: ص ص 60-61) كان ألكوين أبرز أعلام النهضة الكارولنجية في ثقافته ونشاطه التعليمي، ويعد مرآة صادقة لتلك النهضة، وهو إنجليزي ولد في مدينة يورك بإنجلترا حوالي سنة 735م، نشأ في إنجلترا ودرس بمدرسة يورك التي زخرت بالمؤلفات القديمة المتنوعة ذات الشهرة الكبيرة، وقد عمل ألكوين كمعلم، وقد قضى الفترة الواقعة بين سنتي: 782-796م مقيماً في

بلاط الإمبراطور شارلمان، حيث تولى رئاسة مدرسة القصر وتنظيمها (عاشور، د.ت: ص ص 54-55، 59) واهتم شارلمان اهتماماً كبيراً بمدرسة القصر، وقامت المدرسة بدور كبير في تدريس اللغة اللاتينية الصحيحة، كما أنها أعادت الاحترام إلى الدراسات الكلاسيكية التي لم تشجعها الكنيسة باعتبارها وثنية (بيشوب، 2005: ص34) وكان شارلمان من أهم تلاميذ ألكوين في هذه المدرسة، "إذ كان يقضي شطراً كبيراً من الوقت والجهد مع ألكوين في دراسة علم البلاغة والجدل، وعلم الفلك بصفة خاصة، كما تعلم الحساب واعتاد أن يستعمله في حساب حركات الأجرام السماوية بفضول كبير وبدقة فائقة. لقد رعى شارلمان بحماسة بالغة الفنون الحرة، فخصَّ أولئك الذين يعلّمونها بقدر كبير من الاحترام، وأنعم عليهم بكثير من التقدير"، وتلقَّى دروسَه في النحو على يد الشمّاس بطرس البيزوي، غير أنه تعلم الفنون الأخرى على يد ألكوين، وأن الخطة التي تبنّاها شارلمان لتربية أبنائه كانت ترمي بالدرجة الأولى إلى تعليم البنين منهم والبنات الفنونَ الحرةَ التي كانت أيضاً موضعَ الاهتمام الشخصي لشارلمان (أينهارد، 1989: ص ص 120، 134-137) فقد كانت الفنون السبعة الحرة من أهم العلوم التي كانت تدرس في مدرسة القصر، إلى جانب الدراسات الدينية واللاهوتية؛ ذلك أن شارلمان اعتمد ضرورة تدريسها لأبنائه وأبناء الفرنجة جميعاً، ويرى بعض المؤرخين أن هذه العلوم لم تدرس كما ينبغي، ورأوا أن المجموعة الرباعية كانت تدرس دراسة روتينية تقليدية؛ لأن هذه العلوم كان معظمها باليونانية، ولم تكن لها ترجمات صحيحة باللاتينية، خاصة وأن دراسة اليونانية كانت قد بدأت في الانحسار في أوروبا، فأصبح الطلبة يجدون صعوبة في فهمها (صبرة، 1982: ص ص 319-320) أما المجموعة الثلاثية فكانت أنجح لأنهم كانوا يدرسون اللاتينية، كما اهتموا بالأدب الروماني. أما عن معرفة ألكوين بالفنون الحرة فقد كانت مستمدة من المصنفات الضئيلة التي ألفها كاسيودورس ومارتيانوس كابيلا، وموسوعة إيسيدور الإشبيلي، ومن الترجمات غير الكاملة لكتابَيْ أرسطو، وهما التفسير والكليات، ولم يعرف من علم الفلك شيئاً على الإطلاق، ولم يكن حظه في الحساب والهندسة إلا قليلاً، ولم يدرس

كتب إقليدس وبطليموس*، ومنطقه كان يسوده الاضطراب، وبلاغته ليست إلا قاموساً للمصطلحات الفنية، ولذلك أشار بعض المؤرخين إلى أن النهضة الكارولنجية لم تساعد المجموعة الرباعية كثيراً، وكانت النتيجة تطبيق رمزية الأعداد على شرح النصوص المقدسة، وأهمية النسب البسيطة لشرح العلاقات بين العناصر، ثم مشابهة المسافات بين الكواكب بمدرّج موسيقي (صبرة، 1982: ص320) (تاتون، 1988: ص585).

الفنون الحرة والمدارس الدينية: أما عن الفنون الحرة والمدارس الدينية، فإن النهضة العلمية الكارولنجية لم تكن مقتصرة على مدرسة القصر وعلى فئة قليلة مختارة من المدرسين والدارسين بها؛ إذ وجه شارلمان اهتماماً خاصاً بالتعليم والمدارس والمكتبات بشكل عام، فقرر شارلمان ومعاونه ألكوين البدء بتعليم رجال الدين من القساوسة والرهبان تعليماً يحقق لهم الوصول إلى القدر الكافي من الثقافة التي يستطيعون من خلالها إصلاح أنفسهم أولاً، ثم إصلاح المجتمع العلماني الذي يعيشون فيه ثانياً، وسعى جاهداً لإحياء الدراسات الدينية والأدبية والفلسفية والتاريخية في كل مكان في دولته (يوسف، 1981: ص64) (عاشور، د.ت: ص58) فأمر بإنشاء المدارس في جميع الأديرة والكاتدرائيات والأسقفيات، حتى يتعلم الأطفال مبادئ الحساب والنحو والموسيقى والترانيم الدينية، وقد هدف شارلمان بذلك إلى رفع المستوى العلمي لرجال الدين من جهة، وإيجاد طبقة من المثقفين لإدارة شؤون البلاد بعد أن اتسعت رقعة دولته من جهة أخرى (يوسف، 1981: ص ص 64-65) (العريني، 1968: ص ص 290-291) وقد بعث شارلمان بخطابات إلى عدد من رؤساء الأديرة وغيرهم من رجال الدين، يحثهم فيها على التزود بالثقافة الأدبية، إلى جانب الاهتمام بالشؤون الدينية، وقد حث في هذه الخطابات على الاعتناء بالنطق السليم والكتابة الصحيحة الخالية من الأخطاء، كذلك دعا إلى تدريس الفنون الحرة بجميع الكنائس (يوسف، 1981: ص65) ينظر نص الرسالة (ملحق رقم 1)**، ويرى المؤرخون أن

* بطليموس : صاحب كتاب المجسطي, وهو أول من عمل الإسطرلاب الكري والآلات النجومية والمقاييس والأرصاد. (ابن النديم ,1871م : ص 267).

** نص الرسالة عن عاشور، حضارة ونظم أوربا، ص58 - الملحق الأول: خطاب الإمبراطور شارلمان إلى باوجولف رئيس دير فولدا بألمانيا (780 - 800م). ينظر: يوسف، المدخل إلى جامعات العصور الوسطى، 1/ 163 - 164.

الطابع الديني كان غالباً على هذا التعليم، مثل الحساب الذي لم يوضع ضمن مواد الدراسة إلا لمعرفة أوقات الأعياد، ولعل مدرسة تور التي أنشأها ألكوين تعد أنموذجاً لهذا النوع من التعليم، وقُسمت الدراسة فيها إلى مرحلتين: يدرس الطالب في المرحلة الأولى القراءة والكتابة والكتب الدينية (الصلاة، والقُدَاسات، ونظرية التثليث)، وفي المرحلة الثانية يدرس الرهبان وبقية الأفراد المُعَدُّون لوظائف الكنيسة، الأناجيل، وكتابات آباء الكنيسة، وقدراً كبيراً من العلوم الحرة لتساعدهم في التفسير والشرح (العريني، 1968: ص291) ولعل ما يؤيد هذا القول ما أشار إليه أحد المؤرخين من أنه "كان الهدف الأول إذاً هو تثقيف رجال الدين، وذلك لخدمة الدين في الدرجة الأولى، ولذلك فقد وضع ألكوين برنامجاً طُبِّقَ في جميع المدارس على مرحلتين: تختص المرحلة الأولى منه بالقراءة والكتابة والترتيل ومعرفة اللغة اللاتينية جيداً، وهذا بدوره يتطلب بعض الوقت (غريمال، وآخرون، 1957: ص313) وتختص المرحلة الثانية ـ وهي المرحلة العليا ـ بالتمرس بالفنون الحرة واكتساب أساليبها والتعرف إليها، هذه الفنون الحرة هي الفنون الثلاثية والفنون الرباعية، ولكن الاهتمام كان ينصبّ على الفنون الثلاثة: أي على التضلع من اللغة وجودة التعبير وطريقة التفكير (غريمال، وآخرون، 1957: ص313) ولكنه لم يهمل الفنون الأربعة، ويبين فائدة علم الفلك، ويصرح أن لكل هذه العلوم غاية في النظام التربوي الذي يقترحه، هي الفلسفة المسيحية التي تندمج في جوهرها بالجدلية، وتسمح لخير العقول بتصور تفسير إجمالي للكون والله والإنسان (غريمال، وآخرون، 1957: ص ص 313-314) وكتب إلى شارلمان ما نصه: "إن أثينا جديدة يمكن أن تنشأ في فرنسا، أثينا أجمل من القديمة، لأن التي سنؤسسها نحن والتي تشرّفها تعاليم السيد المسيح ستتخطى كل حكمة أتت بها الأكاديميا. وبالرغم من أنها تثقفت بالفنون السبعة الحرة فلم تترك ما يتألق. أما (أثينانا) فستكون ممهورة، بالإضافة إلى ذلك، بفيض الروح السباعي الشكل، وستتوقف على كل أمجاد الحكمة الزمنية" (غريمال، وآخرون، 1957: ص314) وبذلك فإن ألكوين جعل من الفنون الحرة جزءاً ثانياً من المنهج التعليمي في المدارس الكارولنجية (كانتور، 1993: ص319) ويشار إلى أن هذا التعليم كان في أساسه تعليماً دينيًّا، إلا أنه تطور بمرور الوقت، وعمل على دراسة الأدب اللاتيني والدراسات والفكر القديم، وتعدّ مدرسة ألكوين التي أنشأها في تور من أولى المدارس الإقليمية التي كانت على غرار مدرسة القصر في آخن، ولقد

أسهمت الفترة التي قضاها ألكوين هناك بعد اعتزاله بلاط شارلمان في إذكاء الحركة العلمية في هذه المنطقة؛ فقد قام ألكوين بتنظيم دير سانت مارتين، واهتم فيه بتعليم الرهبان أسس الحركة العلمية التي انتشرت بينهم بدراسة الفنون السبعة الحرة (صبرة، 1982: ص324).

ثالثاً: الفنون السبعة الحرة في جامعات أوروبا العصور الوسطى (ق 12 و 13م):

أخذت الأوضاع تتغير في أوروبا خلال القرن الثاني عشر الميلادي، حينما أخذت بوادر نهضة تلقائية كبيرة في الظهور، ساعد على نموها وازدهارها الانتعاش الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي والسياسي، إضافة إلى اتصال الأوربيين بالحضارة الإسلامية من خلال الأندلس وصقلية والشرق الأدنى (عاشور، 1977: ص457) ويشير بعض المؤرخين إلى أن الجانب الأكبر من العلم والمعرفة كان قد تسرب إلى أوروبا عن طريق العلماء العرب في إسبانيا "الأندلس" بصفة خاصة (هاسكنز، 1981: ص243) ويذكر بعض المؤرخين أنه قد جاء وقت على غرب أوروبا في العصور الوسطى، ضاق الناس فيه ذرعاً بتزمت الكنيسة التي حصرت تفكيرهم داخل دائرة ضيقة؛ فأصبحوا يتطلعون إلى حياة علمية وفكرية أخصب وأكثر تنوعاً (عاشور، د.ت: ص268) فاستيقظ الأوروبيون من سباتهم الطويل في تلك العصور، ليجدوا أنفسهم أمام حضارة عربية إسلامية كبيرة، لها إسهامات في مختلف العلوم والفنون، فأقبلوا على مراكز المعرفة العربية يترجمون كل ما وقع في أيديهم إلى اللاتينية (عاشور، 1977: ص457) "فتطورت الحياة العلمية في أوروبا تطوراً كبيراً خلال المدة بين نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثالث عشر، نتيجة للعلوم والمعارف الجديدة التي تدفقت على الغرب" والتي كانت أكبر-كمًّا ونوعاً- من أن تتسع لها المدارس الديرية والكاتدرائية والأسقفية القديمة، ما تطلب في القرن الثاني عشر الميلادي حدوث تطور في نظم التعليم العالي، وقيام كليات جامعية تستوعب هذه المعارف الراقية المتنوعة (عاشور، د.ت: ص ص207-208) (عاشور، 1977: ص457) وقد ظهرت أولى الجامعات* في أواخرالقرن الثاني عشر بكل من

* جامعة : وكان يطلق عليها في العصور الوسطى الإسم اللاتيني - Studium generale أي المدرسة العامة, وتعني المكان العام الذي يستقبل طلاب العلم من جميع الجهات, وقد شاع هذا اللفظ عند مستهل القرن الثالث

سالرنو وبولونيا في إيطاليا ، وباريس في فرنسا, وأوكسفورد في إنجلترا,ثم إنتشرت بعد ذلك في أغلب مُدن أوروبا الكبرى,(عاشور، د.ت: ص210)(عاشور، 197: ص457) (حبيدة, 2010: ص 55) وكانت الجامعة تتكون عادة من أربع كليات: الآداب واللاهوت والقانون والطب، وكان عمل كل كلية من الكليات الثلاث الأخيرة مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بكلية الآداب التي اختصت في تدريس الدراسات التحضيرية التجهيزية لتوجيه الطلبة إلى التخصص في المعاهد الأخرى، كلٌّ حسب رغبته. وكانت مواد الدراسة في كلية الآداب تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين هما: المجموعة الثلاثية: النحو والمنطق والبلاغة، والمجموعة الرباعية: الحساب والهندسة والفلك والموسيقى(يوسف,1981:ص ص 146, 148),وبالنسبة للمواد التي تُدرّس في هذه الجامعات فقد إنتظمت في قسمين رئيسيين: أولاً: اللاهوت, ويختص بما كان معروفاً بتفسير "المذهب المقدس" وتتصل علومه بقضايا الدين من دراسة الإنجيل وأمور الفلسفة المسيحية ,وتمثل دراسة اللاهوت في هذه الفترة أعلى درجات التحصيل المعرفي في الجامعة, ثانياً : الفنون الحرة " التي مثلت أساس التكوين" والتي كانت تدرّس ضمن شعبتين هما: " الرباعية" التي تشمل الحساب والهندسة والفلك والموسيقى,و" الثلاثية " التي تضم النحو والبلاغة والمنطق(حبيدة, 2010 : ص ص 56 -57)؛ وبذلك فقد قسمت جامعات العصور الوسطى الفنون التي تدرسها على نهج تقسيم مارتيانوس (كانتور، 1993: ص109) وعلى هذا فقد قامت برامج الدراسة في جامعات القرن الثاني عشر في تلك المرحلة المبكرة على أساس الفنون السبعة الحرة (عاشور، د.ت: ص220) :

النحو- بلغت دراسة النحو اللاتيني الذروة في القرن الثاني عشر، وكان كتاب القواعد النحوية الذي ألفه برسكيان في أوائل القرن السادس الميلادي يتألف من ثمانية عشر جزءاً، ويمتاز هذا الكتاب بالمادة الغزيرة، والأمثلة القوية المستقاة من مؤلفات كبار الكتاب والشعراء الرومان، أمثال شيشيرون، وفرجيل،

عشر, وهو الذي يعبر عن الجامعة في معناها الحديث, أما المعنى الأصلي للفظ جامعة " Univeresitas " في مصطلح العصور الوسطى هومجموعة أو اتحاد أو رابطة تضم المشتغلين بعمل واحد , فأصبح في أواخر القرن الثاني عشر وفي القرن الثالث عشر يطلق على الإتحاد العلمي أو النقابة التي تشمل عدداً من رجال العلم سواء كانوا أساتذةً أو طلاباً .(هاسكنز, 1981: ص 122) (عاشور, د.ت : 208) .

وغيرهما، وكذلك الكتاب الذي ألفه دوناتوس في القرن الرابع عن "أجزاء الخطبة الثمانية" المراجع الرئيسية، إضافة إلى بعض الدراسات حول الشعراء ورجال البلاغة القدماء (عاشور، د.ت: ص140).

البلاغة - إن علم البلاغة -وهو التوأم الشقيق لعلم النحو- صار له في العصور الوسطى تاريخ يختلف عما كان عليه في العصور القديمة؛ فالبلاغة في العصور القديمة ارتبطت بالخطابة، بينما هي في العصور الوسطى أشدُّ ما تكون ارتباطاً بالرسائل، وهذا لعدم وجود مراجع سهلة وافية للبلاغة تستطيع أن تنهض بهذا العلم، لذلك لم يجد أساتذة القرن الثاني عشر أمامهم سوى كتب الخطابة لشيشيرون، وقواعد الخطابة لكونتليان 35-95م، فوضعوا ما فيها من خطب أمام تلاميذهم كنماذج لفن البلاغة، لا كمراجع تشرح أصول البلاغة وفنها (عاشور، د.ت: ص ص 142-143) لقد اتجه الأدباء في عصر نهضة القرن الثاني عشر نحو إنشاء الرسائل التي أصبحت محور البلاغة، وميدان البيان، ولما كانت كتابة الرسائل في العصور الوسطى مرتبطة إلى حد كبير بالأعمال الحكومية والقانونية؛ ازدهرت كتابة الرسائل في بولونيا بإيطاليا أكبر مدارس القانون في أوروبا العصور الوسطى، وفي القرن الثالث عشر أصبحت كتابة الرسائل فنًّا مستقلاً قائماً بذاته، له معهدٌ خاص، ودراسة محددة، وأساتذةٌ متفرغون لهذه الدراسة، ثم انتقل فنُّ كتابة الرسائل إلى فرنسا في مدرسة أورليان (عاشور، د.ت: ص ص 143-144).

المنطق- اتسعت دراسة المنطق بظهور المنطق الجديد لأرسطو، ثم بظهور غيره من كتابات أرسطو، لاسيما في الميتافيزيقا، وبذلك أخذت كتابات أرسطو تظهر في غرب أوروبا منذ سنة 1128م، فقد تُرجم أغلبها إلى اللاتينية قبل نهاية القرن الثاني عشر، ثم ترجم ما تبقى من كتاباته -مثل ما كتبه في الحيوان والأخلاق والبلاغة والشعر- في القرن الثالث عشر الميلادي؛ بحيث لم تأتِ سنة 1260م إلا وكان جميع ما تبقى من تراث أرسطو معروفاً في غرب أوروبا (عاشور، د.ت: ص ص 193-220).

وفي **العلوم الرياضية** لم يهمل التعليم في العصور الوسطى الحساب والهندسة والفلك؛ غير أن هذه الدراسات ظلت بسيطة وبدائية، إذ استمر الاعتماد على كتاب بيوثيوس في الرياضيات-حتى بداية القرن الثاني عشر الميلادي حينما

ظهرت ترجمة لاتينية لما كتبه إقليدس في الهندسة، وكذلك الموجز الذي وضعه العرب لأبحاث بطليموس السكندري في الفلك (عاشور، د.ت: ص ص 186، 220) ويشار إلى أن معظم الأديرة والكاتدرائيات قد ركزت على النحو والبلاغة والمنطق؛ إذ كانت معارف غرب أوروبا في الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ضئيلة حتى في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، ... ولكن حدث في المائة عام التالية -أي خلال القرن الثاني عشر- أنْ أقبل الأوروبيون على علوم العرب وفلسفتهم، وبالتالي على علوم اليونان التي نقلها العرب إلى لغتهم؛ فلم تحلّ سنة 1125م إلا وكان غرب أوروبا قد حصل في الرياضيات والفلك والكيمياء على دراسات إقليدس وبطليموس السكندري، فضلاً عما كتبه العرب في هذه العلوم ..." (عاشور، د.ت: ص ص 184-185) (واط، 2016: ص125). وتعد العلوم الرياضية العربية في الحساب والجبر والهندسة والمثلثات؛ إحدى الركائز التي اعتمدت عليها نهضة أوروبا العلمية، حينما ترجمت إلى اللغة اللاتينية أبرز مصنفات العلماء العرب في هذا المجال. (الجميلي، د.ت: ص171) (عاشور، د.ت: ص279).

الحساب - ففي الحساب أثر المسلمون في أوروبا بما عُرف عندهم فيما بعد باسم الأرقام العربية، (التي يسميها العرب الأرقام الهندية دلالةً على الأصل الذي اتخذوها منه، والتي يُرجع المؤرخون الفضل في نقلها إلى الغرب إلى مصنفات الخوارزمي* (حتي، 1968: ص153): 780-850م، إضافة لما أوجدوه من تتمة مهمة لهذه الأرقام باختراعهم نظام الصفر (الجميلي، د.ت: ص171) إذ لم يعرف الغرب استعمال الصفر إلا عن طريق العرب في القرن الثاني عشر، ويكفي العرب فضلاً أنهم أوصلوا هذه الطريقة الجديدة إلى أوروبا، ورحموا الأوروبيين من تعقيد النظام العددي الروماني العقيم**، وبذلك سهلوا العمليات الحسابية، وساعدوا على تقدم الرياضيات (عاشور، د.ت: ص ص 280-281) وقد شرح الخوارزمي كيفية استعمال الأعداد الجديدة بما فيها الصفر في بحث له ترجمه

* محمد بن موسى الخوارزمي : من خوارزم , عينه الخليفة المأمون قيّماً على بيت الحكمة في بغداد ,، وكان متقناً لعلوم الهيئة والرياضيات ومن مؤلفاته: كتاب العمل بالإسطرلاب، وكتاب الجبر والمقابلة. (ابن النديم، 1871 : ص383).

** الأرقام الرومانية هي : I = 1 , V = 5 , X = 10 , L = 50 , C = 100 , D = 500 , M = 1000 .(عاشور, د.ت , 280)

الأوروبيون إلى اللاتينية في الربع الأول من القرن الثاني عشر تحت اسم - Algoritmi de numero Indorum أي الخوارزمي عن أرقام الهنود (عاشور، د.ت: ص282) وبذلك اشتق اللفظ الأوروبي-Cipher عن (صفر) بالعربية، وهو يعني أيضاً في اللغات الأوروبية (لا شيء، أو عديم القيمة)، وبذلك عرف غرب أوروبا نظام الأعداد الجديد مقروناً باسم الخوارزمي، الذي اختصر في اللغة اللاتينية بعد ذلك إلى Augrim، (عاشور، د.ت: ص282) ويشمل فضل العرب على أوروبا أيضاً علم الجبر الذي مازال محتفظاً باسمه العربي في جميع اللغات الأوروبية Algebre .(Algebra)، بعد أن أخذه الأوروبيون عن العرب الذين اكتشفوا أصول علم الجبر، وأضافوا إليها وحولوها تحويلاً تامًّا، وإليهم يرجع الفضل في تطبيقه على علم الهندسة، وقد ألف محمد بن موسى الخوارزمي كتابًا في علم الجبر في أوائل القرن التاسع الميلادي، وهو الكتاب الذي نقله إلى اللاتينية روبرت الشستري** Robert of Chester- سنة 1145م، ومن ترجمة هذا الكتاب اقتبس الأوربيون مبادئ علم الجبر بعد زمن طويل، وقد بقي هذا الكتاب رئيسياً لتدريس الرياضيات في مدارس وجامعات أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي؛ وبذلك أدخل علماً جديداً إلى أوروبا (عاشور، د.ت: ص328) (لوبون، 2012: ص471) (حتي، 1968: ص153).

الهندسة: في مجال الهندسة وعلم المثلثات ترجم العرب كتاب إقليدس في الهندسة، وهي الترجمة العربية التي نقلها الأوروبيون إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، ويرى المؤرخون أن لظهور هذه الترجمة أثرًا كبيرًا؛ إذ رفعت من شأن علم الهندسة، وجعلت هذا العلم يتبوّأ المكانة التي مازال يشغلها حتى اليوم، كما ترجم الطوسي: ت 1274م كتاب المعطيات لإقليدس، وهو في هندسة الأشكال الكروية (عاشور، د.ت: ص ص 186-284) غير أن العرب لم يقفوا عند معلومات اليونان في الهندسة وحساب المثلثات، بل جدّدوا وأضافوا إضافات جديدة لم تكن معروفة قبلهم، فهم الذين أدخلوا المماسّ إلى علم حساب المثلثات، وتعدّ هذه الخطوة ذات أهمية كبرى في الرياضيات، حتى اعتبرها علماء

** الشستري : نسبة إلى تشستر بإنجلترا التي تلقى علومه فيها , وأقام في أسبانيا وتثقف بالثقافة العربية , وقام بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية سنة 1143م، ثم ترجم كتاب الخوارزمي في علم الجبر سنة 1144 م، وكانت فاتحة علم الجبر في أوروبا. (الجميلي، د.ت، ص174).

الرياضيات ثورة علمية خطيرة، كما أقام العرب الجيوب مقام الأوتار، وطبقوا علم الجبر على الهندسة، وحلُّوا المعادلات المكعّبة، وتعمّقوا في أبحاث المخروطات (لوبون، 2012: ص471) (عاشور، د.ت: ص284) ويرى المؤرخون أن هذه المعلومات الجديدة هي التي أعطت العلوم الرياضية أهميتها في الحياة، ومن أهم العلماء المسلمين الذين كتبوا في علم الهندسة وحساب المثلثات: الخوارزمي، وثابت بن قرّة ت 900م، والخازن البصري، وابن الهيثم ت: 430هـ/1038م، والبيروني 973-1048م، (عاشور، د.ت: 284) (وأبوعبد الله البتاني 850-929م الذي أطلق عليه الأوروبيون اسم Albategnus- الذي ارتقى بعلم حساب المثلثات إلى أبعد مبادئه التي كان عليها أيام بطليموس السكندري، وذلك عندما استبدل المثلثات بالمربعات في حل المسائل، واستبدل جيب الزاوية بالقوس، وهو الذي صاغ في حساب المثلثات النسب بالصورة التي نستخدمها الآن، كما كتب البيروني رسالة في استخراج الأوتار في الدائرة، (عاشور، د.ت: ص ص 284-285) ؛ فقام الأوربيون بترجمة معظم هذه المؤلفات إلى اللغة اللاتينية منذ القرن الثاني عشر، وكان أبرزهم أديلارد الباثي*: 1070-1135م الذي ترجم جداول حساب المثلثات للخوارزمي سنة 1126م، كما ترجم غيرها من مؤلفات الهندسة (عاشور، د.ت: ص285).

الفلك: يشير المؤرخون إلى أن المخطوطات التي وُجدت عن علم الفلك في أوائل القرن الثاني عشر بغرب أوروبا لم تتعدَّ معلومات بدي والرياضي الكارولنجي هلبرك – Helperic؛ غير أنه في سنة 1120م بدأ أحد الإنجليز ويُدعى والشر- Walcher في حساب الدقائق والثواني، إذ إنه تعلم ذلك من أحد يهود أسبانيا ويدعى بطرس ألفونس، وفي سنة 1126م ترجم أديلارد الباثي كتابات الخوارزمي في الفلك، وبعد ذلك تبعته ترجمة كتابات البتاني والفرغاني: 861م وغيرهما من علماء المسلمين (عاشور، د.ت: ص187) وفي حوالي سنة 1160م نقلت عن اليونانية كتابات بطليموس السكندري، وهي خلاصة ما وصل إليه القدماء في علم الفلك، أما عن العربية فقد ترجمت حوالي سنة 1175م (عاشور،

* أديلارد الباثي: ولد قبل سنة 1090م في مدينة باث بإنجلترا , وطلب العلم في الأندلس وصقلية وفرنسا, وجمع معارف في علوم الطبيعة والفلك والرياضيات، ثم عاد إلى إنجلترا وعين معلماً للأمير هنري الذي أصبح فيما بعد الملك هنري الثاني: 1154 - 1189م, ثم إنتقل إلى صقلية حيث توفي بحوالي سنة 1160م(الجميلي، د.ت، ص ص 191-192)(تاتون,1988: ص ص 590-591).

د.ت: ص187) غير أن المعرفة الفلكية قد وصلت ذروتها في عهد روبرت غروستست Robert Grosseteste- (1253م) الذي كان رئيساً لجامعة أوكسفورد لفترة، وقد اهتم مع وولشر وأديلارد الباثي بالظواهر الطبيعية، وانغمسوا في الطرق العلمية التي تشجع على المراقبة والتجربة، كذلك أصرّ غروستست على وضع قاعدة رياضية للكون المادي، كما ترجمت في عهده بعض الأعمال اليونانية عن اللغة اليونانية مباشرة (واط، 2016، ص ص 118-119) والواقع أن العرب هم أصحاب الفضل في التقدم بعلم الفلك في العصور الوسطى؛ إذ صححوا معلومات بطليموس السكندري وغيره من علماء العصر القديم، وأضافوا إليها الكثير من التعديلات والإضافات (عاشور، د.ت: ص187) ففي الأندلس كان الإقبال على العلوم الفلكية كبيراً بعد منتصف القرن العاشر، وكان أغلب الفلكيين الأندلسيين يؤمنون بأن أسباب أكثر الحوادث التي تحدث للإنسان منذ ولادته وحتى موته؛ ترجع إلى تأثير النجوم، وتطلبت دراسة هذا التأثير الفلكي -علم التنجيم- تحديد الأماكن في الأرض، ووضع مقاييس الطول والعرض لها، ثم انتقلت هذه المؤثرات الشرقية عن طريق إسبانيا إلى الغرب اللاتيني، الذي أخذ في دراسة الفلك والتنجيم، ونقلت معظم كتب الفلك الإسلامية في إسبانيا إلى اللاتينية (حتي، 1968: ص190)، وعن طريق الترجمة وقفت أوروبا على أبرز المصنفات لعلماء الفلك العرب، ما اعتُبِر الأساس الذي بُنِيَ عليه علم الفلك الأوربي، وإن ما توصل إليه العلماء العرب من تصحيح لآراء السلف في هذا الميدان من جهة، وما جاءوا به أنفسهم من آراء ونظريات جديدة لم تكن معروفة من قبل من جهة ثانية؛ كان هو العامل الرئيسي للإقبال الشديد للأوربيين على تراث العرب الفلكي (الجميلي، د.ت: ص177) وقد برز من فلكيّي المسلمين كثيرون مثل: محمد البتاني، الذي صحح بعض الأخطاء التي وقع فيها بطليموس السكندريّ**، ووصل إلى نتائج جديدة في المباحث الفلكية، ويعدّ كتابه "الزيج الصابئ" أهم مؤلفات الفلكيين المسلمين (عاشور، د.ت: ص ص 286-287) (لوبون، 2012: ص473) ويشير المؤرخون إلى أن هذا الكتاب كان له أثر كبير في علم الفلك في غرب أوروبا في العصور الوسطى وبداية الحديثة، وقد تُرجم

** كان بطليموس يرى أن الأرض ثابتة وأنها مركز النظام الشمسي، ولم يقبل العرب هذا الوهم، وساروا خطوات واسعة نحو إثبات أن الشمس ثابتة وأن الأرض تدور حولها وتدور حول نفسها في الوقت نفسه. (الجميلي، د.ت. : ص90)

إلى اللغة اللاتينية أكثر من مرة في القرن الثاني عشر، كذلك أمر ألفونسو العاشر: 1252-1282م. ملك قشتالة بترجمته من العربية إلى اللغة الإسبانية في القرن الثالث عشر، ثم نشر في أوروبا عدة مرات في القرنين السادس عشر والسابع عشر وما بعدهما، وهذا الكتاب عبارة عن دائرة معارف كبيرة، حدد فيها البتاني عدة أمور فلكية منها: معرفة ارتفاع الشمس وقت انتصاف النهار، ومعرفة ارتفاع الكواكب، وطول السنة الشمسية، ومعرفة كسوف الشمس ومطالع البروج ...، كل ذلك جاء مزوداً بالجداول التوضيحية الوافية (عاشور، د.ت: ص287) وكذلك محمد الفرغاني الذي عاش في القرن العاشر، وقام بأبحاث في تحديد طول السنة تحديداً مظبوطاً، وأطوال الليل والنهار، وحركات الكواكب والنجوم، وقد كان لكتب الفرغاني تأثيراً كبيراً في أوروبا طوال سبعمائة عام (عاشور، د.ت: ص286) (الجميلي، د.ت: ص178) ومن أبرز ما توصل إليه علماء الفلك المسلمون من نتائج أنهم تمكنوا من قياس طول السنة الشمسية بالضبط، كما توصلوا إلى نظرية دوران الأرض، واستعمل العرب الإسطرلاب** الذي لم يعرفه الأوربيون إلا على أيدي أساتذتهم العرب (عاشور، د.ت: ص ص287-288) وكثير من المصطلحات الفلكية الأوروبية من أسماء الأبراج والكواكب والنجوم أخذها الأوربيون كماهي عن العربية دون تحريف مثل: العقرب- Acrab والجدي- Algedi والطائر- Altair، والفرقد-Pherkad، وغيرها (عاشور، د.ت: ص288) (حتي، 1968: ص ص 190-191) (اليوسف، 1969: ص272) وفي الربع الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي وصلت معلومات العرب هذه إلى أوروبا، وبوصولها أخذ اهتمام الأوربيين يزداد بعلم الفلك، ما فتح الباب أمام الغرب الأوروبي للاطلاع على معارف وعلوم جديدة، لم يعرفها الأوروبيون من قبل، ويرجح المؤرخون اهتمام الأوربيين بعلم الفلك اهتماماً خاصًّا لأهميته في تحديد مواعيد الأعياد الدينية؛ وعلى هذا ظهر علماء متخصصون في الفلك في الجامعات الأوربية في القرن الثالث عشر، كذلك حرص الملوك والأمراء في

** الإسطرلاب: هو عبارة عن قرص معدني مقسم إلى درجات، ويدور على هذا القرص مؤشر ذو ثقبين في طرفيه، ويعلق الإسطرلاب من حلقته رأسياً، ثم يوجه المؤشر نحو الشمس، وعندما تمر أشعة الشمس من هذين الثقبين يُقرأ ارتفاع الكوكب من الحد الذي يقف عليه المؤشر. ينظر: (لوبون، 2012: صص 478 - 479، عاشور، د.ت : 288).

أوروبا على استشارة الفلكيين ليس فقط في المهام والأمور السياسية، بل أيضاً في دقائق حياتهم الخاصة (عاشور، د.ت: ص187).

الموسيقى: كان للموسيقى أهمية كبيرة في الحياة الأوروبية في العصور الوسطى؛ لارتباطها بمباشرة الطقوس الدينية في الكنائس، وقد ظلت الموسيقى الأوروبية شبه بدائية وسطحية في أنغامها وألحانها طوال العصور المظلمة حتى عصر الحروب الصليبية، عندما بدأ يظهر في القرن الثاني عشر نوع من الانسجام والتوافق بين ألحانها وأنغامها (عاشور، 2007: ص71) (عاشور، د.ت: ص231) ولعل ما يؤيد ذلك قول أحد المؤرخين "إن الغرب لم يعرف أيَّ نوع من أنواع الانسجام الموسيقي في العصور الوسطى حتى زمن الحروب الصليبية، عندما قويت الصلات بين أوروبا والبلاد الإسلامية، ومنذ ذلك الوقت أخذ يظهر في الموسيقى الغربية نوع من التوزيع الغنائي وانسجام الألحان، فضلاً عن تطور تدوين النوتة الموسيقية، حتى أصبح من الممكن تسجيل الأصوات المتباينة والتعبير عنها. ولاشك في أن الفضل في ذلك التطور الذي أصابته الموسيقى الغربية منذ القرن الثاني عشر-عندما انتشر التوزيع الغنائي والانسجام الموسيقي (الهارموني) إنما مَرَدُّهَ إلى تأثير العرب وجهودهم (عاشور، د.ت: ص326) وفي الوقت الذي ترجم فيه أديلارد الباثي رسالة الخوارزمي في الرياضيات، وفيها قسمٌ عن الموسيقى، عدت أقدم الرسائل التي أدخلت الموسيقى العربية إلى أوروبا، ثم شاعت في الجنوب الغربي منها منذ القرن الثالث عشر موسيقى شعبيةٌ منبثقةٌ من مصادر عربية، وأصبحت آلات الطرب عربيةً بكامل أسمائها (الجميلي، د.ت: ص ص191-192) وهكذا أخذت الموسيقى الأوروبية تتقدم في الشطر الأخير من العصور الوسطى، فارتقت كتابة النوتة الموسيقية، وأصبح في الإمكان تدوين مختلف الأصوات والأنغام ومراعاة التوزيع الموسيقي على الآلات المختلفة، ولم تكن جامعات أوروبا بعيدة عن هذا الفن؛ إذ اهتم بعضها بتدريس الموسيقى ومنح درجات علمية فيها، وكان في مقدمة هذه الجامعات جامعات إسبانيا، ثم جامعة أكسفورد التي منحت الدكتوراه لأول مرة في الموسيقى، "وإن كان حملة هذه الشهادة ظلوا في العصور الوسطى دون غيرهم من حملة الدكتوراه في فروع المعرفة الأخرى" (عاشور، 2007: ص ص71-72) فالموسيقى أحد الفنون الحسية التي كان للعرب فيها فضل كبير على الغرب

الأوروبي، ومن أهم علماء العرب الذين كتبوا في الموسيقى: الكندي، ت: 873م، والفارابي، ت: 950م، وابن سينا، ت: 1037، وعبد المؤمن، ت: 1294م، وكان الفارابي أهمهم جميعاً، وقد ذاعت شهرته في أوروبا حيث عرف باسم – Alpharbius، ومن كتبه في الموسيقى: كتاب الموسيقى الكبير، وكتاب كلام في الموسيقى، وكتاب في إحصاء الإيقاع (عاشور، د.ت: ص ص 326-327) إضافة إلى تناوله الحديث عن الموسيقى في بعض فصول كتبه الأخرى، ولاسيما كتابه إحصاء العلوم الذي ترجم إلى اللاتينية في فترة مبكرة، وقد حظي بمكانة كبيرة في أوروبا، ويعدّ الفارابي أول من صمم آلة القانون (الجميلي، د.ت: ص ص149-150) كما كانت لابن سينا إسهامات كبيرة في تقدم علم الموسيقى من خلال رسائله في الموسيقى، كذلك ألف عبد المؤمن كتاب بهجة العيون، ويعدّ السلّم الموسيقيّ الذي وضعه أكملَ سلَّمٍ ظهر باعتراف باحثي الغرب، وقد ازدهرت الموسيقى العربية بالأندلس، فوفد الطلاب الأوروبيون إلى قرطبة، حيث ترجموا كتابات العرب في علم الموسيقى إلى اللاتينية، كما استخدم ملوك قشتالة وأرغونة المسيحيون موسيقيين من العرب، (عاشور، د.ت: ص ص327-328) ولا تزال أسماء الموسيقاريين العرب محفوظة في بلاطاتهم، وما يزال الشرقيون حتى اليوم يرون الموسيقى الأسبانية أقرب إليهم من بقية أنواع الموسيقى الأوروبية، كما أن كثيرًا من الآلات الموسيقية الحديثة لم تكن معروفة في أوروبا، وإنما عرفها الأوروبيون عن طريق مسلمي أسبانيا، ولعل خير دليل على أثر العرب في الموسيقى الأوروبية هو العدد الكبير من المصطلحات والأسماء الموسيقية التي نقلها الغرب بألفاظها العربية إلى لغاته مثل: Lute-عود، Guitar-قيثارة، Ribible-رباب، Naker-النقارة، Kanoon-القانون، و Timpal-الطبل. .. إلخ (عاشور، د.ت: ص328) (اليوسف، 1969: ص271).

رابعاً: نهاية الفنون الحرة:

إن حركة إحياء التراث الكلاسيكي القديم المتقدة لم تدم لفترة طويلة؛ إذ انتهت وهي في بداية عهدها، وذلك بسبب تفوق الدراسات التي كانت عملية أكثر من التراث القديم؛ مثل القانون - الذي كان قد تحول إلى مادة أساسية, سواء في شقها المدني أو الكنسي؛ إذ أصبح مفتاحاً رئيسياً من مفاتيح السلطة - والمنطق والبلاغة، وفي القرن الثالث عشر الميلادي لم يعد للدراسات الأدبية أيُّ وجودٍ

ضمن الدروس الجامعية (هاسكنز، 1981: ص ص294-295)(حبيدة, 2010: ص 57) ولذلك فإنه عندما كتب أحد الشعراء الفرنسيين - ويسمى هنري داندلي- Henri dAndli في حوالي سنة 1250م قصيدته التي أُطلق عليها اسم: " معركة الفنون السبعة- Battle of Seven Arts"، كانت الدراسات الكلاسيكية قد مضى عليها وقت طويل وهي تخوض معركة الهزيمة أمام الدراسات المستجدة المستحدثة، نجد ذلك واضحاً في إحدى القصائد التي تقول الآتي*: (هسكنز، 1981: ص295).

المنطق اتجه إليه الطلبة

أما الأجرومية فقد تناقص طلابها

.. ... .

لقد تعالى القانون المدني في أُبَّهَةٍ

وسار القانون الكنسي متشامخاً،

والاثنان يتصدران كافة الفنون الأخرى. (هاسكنز، 1981: ص295).

وفي الوقت الذي أُهملت فيه الآداب الكلاسيكية القديمة في إطار دراسة الفنون في المناهج الجامعية؛ كان الاتجاه يسير حثيثاً نحو التركيز على دراسة المنطق أو علم اللسان؛ إذ إن أقدم القوانين الجامعية في غرب أوروبا نصت على الرجوع إلى كل مؤلفات أرسطو في المنطق التي أصبحت الأساس في مجموعة مواد الفنون المختلفة؛ لأن هذا العلم دخل إلى العلوم الأخرى على أساس أنه

---

* النص الأصلي بالألمانية/الفرنسية القديمة (Old French) التي كتب بها الشاعر هنري داندلي (Henri d'Andeli) قصيدته "معركة الفنون السبعة" (La Bataille des VII Ars) والمقابلة للأبيات المذكورة هي: النص الأصلي بالفرنسية القديمة:

Li Logiciens a les escoles
Et la Gramaire a meins de foles.
...
Li Lois Civiles va en fierte
E li Decrez va chevalchant,
Sur toz les arts vont chevauchant .

(ملاحظة: تختلف بعض صيغ الكلمات بين المخطوطات القديمة، مثل استبدال "fierte" بـ "bobance" في نسخة أخرى للإشارة إلى الأبهة والتكبر). (d'Andeli, 1250/1914) ، (Paetow, 1914)

طريقة وأسلوب ومنهج، فأضاف بذلك طابعاً خاصًّا إلى الفكر في العصر الوسيط (هاسكنز، 1981: ص ص 295-296) كذلك فإن علم القياس المنطقي والمناظرات والمحاورات ووسائل إدارة دفة النقاش؛ أصبحت هو المظهر العقلي للعصر الوسيط فيما يخص القانون والطبّ، تماماً مثلما هو الحال فيما يتعلق بالفلسفة واللاهوت، ويقصد بهذا المنطق منطق أرسطو، بالإضافة إلى مختلف المقالات والرسائل التي درست العلوم الطبيعية التي كان الطلبة ممنوعين من دراستها في بادئ الأمر، كما أُدرجت موادّ أخرى ضمن مناهج الدراسة، مثل: علم الأخلاق، وعلم الميتافيزيقا، أي ما وراء المادة (هاسكنز، 1981: ص296)، وفي الوقت الذي أصبح فيه الجدل والمحاجاة -دون غيرهما- هما أساس كل شيء؛ لم يعد للأفكار ذات الصبغة الأدبية أية مكانة تذكر، وفيما يتعلق بالبلاغة فقد كان مصيرها مختلفاً قليلاً عن الآداب القديمة "اليونانية والرومانية" التي كانت مقتصرة على مختارات من الكتب المتخصصة لتوضيح قواعد اللغة، ولعل ذلك يعود إلى تطبيقات البلاغة العملية، إن المقدرة التلقائية الذاتية أو الطاقة الواسعة غير المحدودة لم تكن الطابع المميز للحياة الثقافية في العصور الوسطى فيما يخص التعبير الأدبي، (هاسكنز، 1981: ص ص297-298) وقد عثر بعض الأساتذة -وكانوا يُسَمَّوْنَ باللغة اللاتينية اسمَ -dictatores- في حوالي القرن الثالث عشر الميلادي؛ على أماكن لهم في بعض الجامعات في غرب أوروبا، ولاسيما في إيطاليا وجنوب فرنسا، وهؤلاء الأساتذة كانت لهم مطالبُهم بشأن أسلوب التدريس الجامعي، التي تشبه إلى حدٍّ ما ما يتطلّبه سيرُ العمل في العصر الحديث، من حيث إنه يجب أن يكون عمليًّا ومختصرًا، كما أنهم لا يريدون إهدار أوقاتهم في الحديث عن كتّاب العصر القديم الذين يتفوقون عليهم، بل كانوا يرون أن كل شيء يجب أن يكون جديداً وسريعاً وجاهزاً في أية لحظة، ومُعَدًّا للتطبيق والاستخدام في نفس اليوم إذا تطلب الأمر، (هاسكنز، 1981: ص298) يشير المؤرخون إلى "أن أهل التربية آنذاك كانوا يعتقدون بنظرية مؤدّاها أنّ الملكات العقلية تعمل وكأنها أجهزة في دماغ الإنسان، وتُشحذ عن طريق (الفنون) الآداب الحرة، بعكس ما توصل إليه علم النفس الحديث أن عقل الإنسان يشتغل كوحدة واحدة، ولا أثر لذلك التقسيم في داخل الدماغ من ناحية فسلجية" (اليوسف، 1967: ص238).

الخاتمة

بعد أن تناولنا بالدراسة والبحث موضوع الفنون السبعة الحرة، وبحثنا فيه عن بعض الجوانب التي تتعلق به؛ توصلنا إلى العديد من النتائج لعل أبرزها وأهمها ما يلي:

1. أن الكنيسة أقرت تدريس الفنون السبعة الحرة التي كانت تلقن لتلاميذ المدارس الوثنية، ولكن على أسس مسيحية؛ لأن الكنيسة أدركت أن هذه الفنون أساسية ولابدّ منها لفهم الكتاب المقدس نفسه، وأن الفنون السبعة الحرة هي مواد ثقافية مساعدة، الهدفُ منها المساعدة على فهم الكتب الدينية.

2. أن رسالة مارتيانوس كابيلا، الذي يرجع إلى أوائل القرن الخامس الميلادي، هي التي حددت عدد الفنون الحرة بسبعة، وثـبَّـتَتْ ذلك في أذهان الناس في العصور الوسطى الباكرة، وأنه أول من حدد الفنون السبعة الحرة بالنحو والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى.

3. أن الفنون السبعة الحرة وصلت إلى العصور الوسطى في مؤلف (رسالة) مارتيانوس الذي وضعه في الفترة بين 410 و429م.

4. قسم مارتيانوس الفنون السبعة الحرة إلى مجموعتين: ثلاثية أدبية هي: النحو، والبلاغة، والمنطق، ورباعية رياضية هي: الحساب، والهندسة، والفلك، والموسيقى.

5. هناك العديد من التسميات التي أُطلقت على هذه العلوم، منها: العلوم الحرة، الفنون السبعة الحرة، الآداب الحرة السبعة، العلوم التثقيفية، دراسات تمهيدية.

6. رعى الإمبراطور شارلمان بحماسة كبيرة الفنون السبعة الحرة، وخصَّ معلميها بقدرٍ كبيرٍ من الاحترام والتقدير، واعتمد ضرورة تدريسها لأبنائه وأبناء الفرنجة، بل كان هو شخصيًّا أحد التلاميذ الذين درسوها في مدرسة القصر.

7. قسمت جامعات أوروبا في العصور الوسطى الفنون التي تدرسها على نهج تقسيم مارتيانوس، كما تأثرت الفنون السبعة الحرة في جامعات أوروبا خلال نهضة القرن الثاني عشر بحضارة المسلمين، وما اخترعه علماؤها من ابتكارات في هذه العلوم، إذ كانت معارف أوروبا في الحساب والهندسة والفلك والموسيقى،

ضئيلة حتى في النصف الثاني من القرن الثاني عشر عندما استفادوا من علوم العرب وما ترجموه من كتب اليونان في هذه العلوم.

8. مرّت هذه الفنون -كأي شيء آخر- في القرن الثالث عشر الميلادي بمراحل ضعف ونهاية، عندما دخلت عليها الدراسات والعلوم الحديثة ذات الطابع العلمي المختصر والسريع كالقانون والطب.

الملاحق: من المصدر:

يوسف، جوزيف نسيم. (1981). المدخل إلى جامعات العصور الوسطى. في نشأة الجامعات في العصور الوسطى (ط2). دار النهضة العربية.

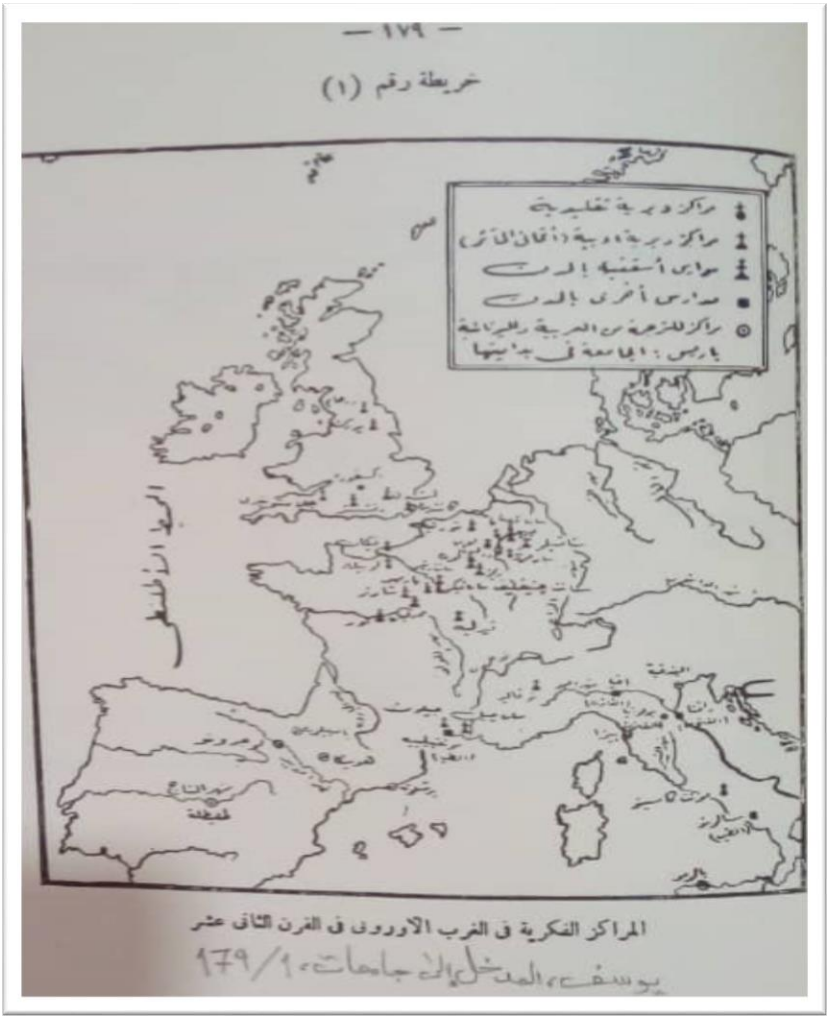
الملحق الأول

خطاب الامبراطور شارلمان الى باوجولف رئيس دير فولدا بالمانيا (٧٨٠ — ٨٠٠ م) . (١)

تحية وبعد — ليكن معلوما لقداستكم أنه مما يرضى الله أن وجدنا نحن والمخلصون من رجالنا أنه من المفيد بالنسبة للأسقفيات والأديرة التى فوض المسيح أمر الإشراف عليها إلينا ، بالاضافة إلى جماعات الإخوان الرهبان ، مع الرغبة فى مواصلة التعليم الدينى — وجدنا أنه من المفيد الاهتمام بأمر الأسقفيات والأديرة ، وذلك فيما يختص بالثقافة الأدبية وتعليم اولئك الذين وهبهم الله القدرة على التعلم، كل حسب مقدرته وطاقته . ولما كان احترام القوانين الرهبانية ومراعاتها يؤدى إلى النظام وإلى نعمة السلوك الحسن ، كذلك فإن العبرة فى العلم والتعليم يمكن أن تؤدى إلى نفس النتيجة . وهكذا فإن الذين يبغون إرضاء الله بأن يحيوا حياة قويمة صالحة ، عليهم أيضا الحصول على رضائه بالنطق السليم .... وعلى الرغم من أن المسلك القويم قد يكون أفضل من المعرفة ، إلا أن المعرفة تسبق آداب السلوك .... إذ كانت تصلنا خلال السنوات القليلة الماضية خطابات من كثير من الأديرة ، جاء بها أن الإخوان الرهبان الذين يعيشون هناك يقيمون

ينظر: يوسف الحلو، المدخل إلى جامعات العصور الوسطى، ١/ ١٦٣-١٦٤.

السلوات والابتهالات المقدسة من أجلنا . ولقد وجدنا فى معظم تلك المكاتبات الأفكار السائبة إلى جانب التعبيرات اللغة غير المألوفة . ذلك أن ماتمليه العبادة الحقة بإخلاص على العقل ، لم يكن بوسع اللسان الذى لم يثقف بسبب إهمال الدراسة التعبير عنه دون الوقوع فى أخطاء . . لكل هذا ندعوكم ليس فقط إلى الاهتمام بدراسة الآداب ، ولكن أيضا بمقل شديد التواضع لتحصيل العلم والفتاء المعرفة بما يرضى الله، حتى يتسنى لكم ، فى سهولة ويسر أكثر من ذى قبل وبطريقة صحيحة أيضا، التعمق فى فهم خبايا الأناجيل المقدسة وأسرارها ....



المراكز الفكرية فى الغرب الأوروبى فى القرن الثانى عشر

يوسف، المدخل إلى جامعات، ١٧٩/١

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. بن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق. (1871). الفهرست. لايبزك.

2. إينهارد. (1989). سيرة شارلمان (عادل زيتون، مترجم). دار حسان.

ثانياً: المراجع العربية

1. الجميلي، رشيد. (د.ت). الحضارة العربية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية. منشورات جامعة قاريونس.

2. حاطوم، نور الدين. (1981). تاريخ العصر الوسيط في أوربة. دار الفكر.

3. حبيدة, محمد.(2010). تاريخ أوربا من الفيودالية إلى الأنوار. كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

4. حتي، فيليب. (1968). العرب تاريخ موجز. دار العلم للملايين.

5. الخطيب، محمد. (2006). حضارة أوروبا في العصور الوسطى. دار علاء.

6. زناتي، أنور محمود. (د.ت). موسوعة تاريخ العالم: تاريخ العرب والمسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى العصر المعاصر. دار الكتب العربية.

7. صبرة، عفاف سيد. (1982). الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان. دار النهضة العربية.

8. طرخان، إبراهيم علي. (د.ت). شمالي إفريقية والوندال: 439-534م. (د.ن).

9. عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1977). التعليم العالي في العصور الوسطى-دراسة مقارنة بين العالمين الإسلامي والمسيحي -. في بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى. دار الأحد.

10. عاشور، سعيد عبد الفتاح. (2007). الجامعات الأوربية في العصور الوسطى. دار الفكر العربي.

11. عاشور، سعيد عبد الفتاح. (د.ت). حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى. دار النهضة العربية.

12. العريني، السيد الباز. (1968). تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. دار النهضة العربية.

13. عمران، محمود سعيد. (2007). حضارة أوروبا في العصور الوسطى. دار المعرفة الجامعية.

14. يوسف، جوزيف نسيم. (1987). تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها. دار النهضة العربية.

15. اليوسف، عبد القادر أحمد. (1967). العصور الوسطى الأوروبية: 476-1500م. المكتبة العصرية.

16. اليوسف، عبد القادر أحمد. (1969). علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر. المكتبة العصرية.

17. يوسف، جوزيف نسيم. (1981). المدخل إلى جامعات العصور الوسطى. في نشأة الجامعات في العصور الوسطى (ط2). دار النهضة العربية.

ثالثاً: المراجع المعربة

1. بروي، إدوار. (1986). القرون الوسطى (يوسف أسعد داغر & فريدم داغر، مترجمان). في تاريخ الحضارات العام. منشورات عويدات.

2. بيشوب، موريس. (2005). تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (علي السيد علي، مترجم). المشروع القومي للترجمة.

3. تاتون، رنيه. (1988). تاريخ العلوم العام (العلم القديم والوسيط) (علي مقلد، مترجم). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

4. دوسن، كرستوفر. (1967). تكوين أوروبا (سعيد عبد الفتاح عاشور & محمد مصطفى زيادة، مترجمان). مؤسسة سجل العرب.

5. ديورانت، ول. (2001). قصة الحضارة (محمد بدران، مترجم). مكتبة الأسرة.

6. غريمال، بيار، وآخرون. (1957). موسوعة تاريخ أوروبا العام من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر (أنطوان إ. الهاشم، مترجم). عويدات للنشر والطباعة.

7. كانتور، نورمان ف. (2001). التاريخ الوسيط قصة حضارة: البداية والنهاية (قاسم عبده قاسم، مترجم). عين للدراسات والبحوث.

8. كانتور، نورمان ف. (1993). العصور الوسطى الباكرة (قاسم عبده قاسم، مترجم). عين للدراسات والبحوث.

9. كرامب، ج.-إ. جاكوب. (1965). تراث العصور الوسطى (محمد مصطفى زيادة، مترجم). مؤسسة سجل العرب.

10. كولتون، ج. ج. (1981). عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة (جوزيف نسيم يوسف، مترجم). دار النهضة العربية.

11. لوبون، غوستاف. (2012). حضارة العرب (عادل زعيتر، مترجم). مؤسسة هنداوي.

12. هاسكنز، ش. هـ. (1981). نشأة الجامعات. في نشأة الجامعات في العصور الوسطى. دار النهضة العربية.

13. هلستر، س. ورن. (1988). أوروبا في العصور الوسطى (محمد فتحي الشاعر، مترجم). مكتبة الأنجلو المصرية.

14. واط، وليام مونتغمري. (2016). تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى (سارة إبراهيم الديب، مترجمة). جسور للترجمة والنشر.

المراجع الأجنبية:

33.Paetow, L. J. (Ed & .Trans.). (1914 .(The battle of the seven arts: A French poem by Henri d'Andeli, trouvère of the thirteenth century .University of California Press.